بسام الشكعة

رجل وشعب في مواجهة الاحتلال

ماريون ولفسون

ترجمة

محمد الكاشف

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة ـ ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل ـ

شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا

٠١٠٠١٠٤١١٥ — ٠٢٢٧٨٧٧٥٧٤

٠١٢٩٩٦١٦٢٥ — ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

بطاقة فهرسة

ولفسون، ماريون
بام الشكعة : رجل وشعب فى مواجهة الإحتلال
ماريون ولفسون . ترجمة محمد الكاشف . ط ١ . القاهرة
مكتبة جزيرة الورد : ٢٠١٠   ١٧٦ ص . ٢٤ سم
١ - الشكعة : بسام   ٢ - السلسيون الفلسطينيون
٣ - فلسطين - تاريخ
٩٢٣,٢٥٩٦

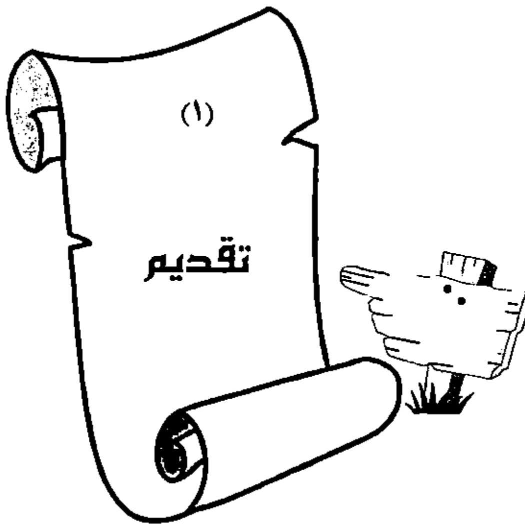
رقم الإيداع : ١٠٣٢٤ / ٢٠١٠

الناشر :
مكتبة جزيرة الورد
٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل الرئيسى
- شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا
محمول : ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦
ت : ٠٢/٢٧٨٧٧٥٧٤
٠٢/٠١٠٠١٠٤١١٥

الطبعة الأولى ٢٠١٠

بسام الشكعة
رجل
وشعب
في مواجهة
الاحتلال







في فلسطين ثمة كوكبة من رموز المناضلين الوطنيين الجسورين ، يتصدرون المشهد الوطني والقومي ، على حد سواء . ولعل في مقدمة هذه الكوكبة قامة القائد المناضل «بسام الشكعة» ، الذي تصلح سيرته هاديًا لكل من يتطلع لخدمة شعبه ، ووطنه ، وما أندر مثل هذه السيرة العطرة .

لذا أصابت «ماريون ولفسون» حين وقع اختيارها على الشكعة ، قبل غيره من أفراد الكوكبة إياها .

كما أن اختيار الصديق العزيز الصحفي الوطني المخضرم ، ابن مصر ، «محمد الكاشف» لهذا الكتاب كي يترجمه هو عمل موفق في حد ذاته ، وفي المكان والزمان الصحيحين .

عرفت المناضل «بسام الشكعة» ، قبل ستة وثلاثين عامًا ، حين انتخب رئيسًا لبلدية نابلس تحت الاحتلال الإسرائيلي ، وبعد نحو ست سنوات جرت محاولة اغتياله ، فذهبت بساقيه ، وتواصلنا عبر البريد الإلكتروني ، والهاتف قبل أن يجمعنا المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول (دمشق – يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٨) ، ومن يومها غدا الشكعة رئيسي في «لجنة المتابعة العليا» ، وهي من المفروض تقود المعارضة الفلسطينية . والله أعلم .

واليوم ، يقف المناضل «بسام الشكعة» شوكة في حلق أعدائنا الإسرائيليين ، وفي عيون أزلامهن وركائزهم ، عنوانًا لصلابة المناضلين الحقيقيين ، وصمودهم ، مقدمة لانتقال الحركة الوطنية الفلسطينية من خنادق الدفاع إلى تلال الهجوم ، وصولاً إلى التحرير ... وفلسطين مستقلة ديمقراطية .

القاهرة في ٩/ ٤/ ٢٠١٠ **عبد القادر ياسين**

بسام الشكعة
رجـــــــل
وشــــــعب
في مواجهــة
الاحــــتلال







ابتداء : أرجو من وراء ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية أن يزداد القراء في مصر والعالم العربي معرفة وإدراكا للواقع الصعب المرير الذي يواجهه إخوتنا وشعبنا الفلسطيني في الأرض المحتلة (سواء في داخل فلسطين المحتلة أو الضفة الغربية).

وهذا الكتاب للصحفية ماريون ولفسون التي تعمل بصحيفة الصنداي تايمز - وهي أسكتلنديه تنتمي لعائلة يهودية - لم تكتب قصة عمدة نابلس السيد : بسام الشكعة وما جرى له فحسب . ولكن ذكرت ذلك كله في عرض شيق - وذكرت معني معاناة الشعب الفلسطيني والظلم الفادح الذي يتعرض له في مواجهة الاحتلال .

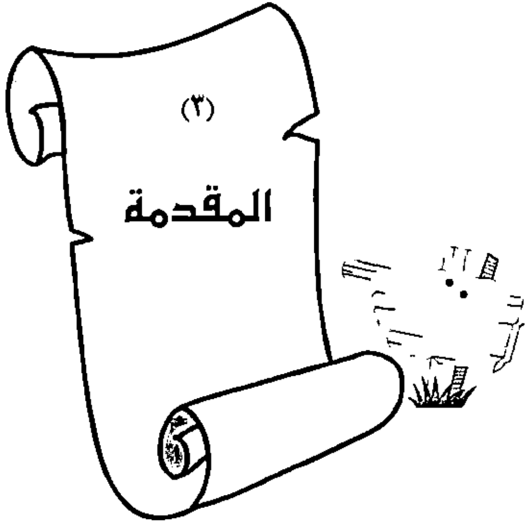
ولعلي ببساطة شديدة أقول : أننا بحاجة إلى مساندة الذين يقفون معنا والترحيب بجهدهم لإزالة الغشاوة والتعتيم الإعلامي من الميديا الغربية .. كما أننا بحاجة إلى جهد جميع المثقفين لكشف مزاعم الصهيونية وأكاذيبها .

وكل الشكر للمؤرخ والمناضل الأستاذ عبد القادر ياسين لتحمسه وتشجيعه ترجمة ونشر الكتاب بالعربية .. آملاً .. أن أشعل شمعة .. على الطريق الطويل .. طريق التحرير .. و العودة إلى فلسطين المستقلة .

محمد الكاشف

بسام الشكعة
رجــــــل
وشــــــعب
في مواجهـــة
الاحـــــتلال







إن معاناة بسام الشكعة عمدة مدينة نابلس الفلسطينية وهو في قبضة الاحتلال الصهيوني جذبت إليه الأنظار في كل العالم . ولفتت الانتباه إلى القضية الفلسطينية .

بينما أكدت شجاعته الفائقة في مواجهة طغيان الاحتلال أن اسم بسام الشكعة سوف يكون له مكانة خاصة في كتب التاريخ .

الاحتجاج العالمي الذي نتج عن محاولة الإسرائيليين طرده من أرض أجداده وقتله كان له أثر فعال في كشف الحقائق التي كانت غائبة عن وعي الكثيرين حول فلسطين .

فقد ساد الاعتقاد لد الكثيرين في الغرب أن إسرائيل تدير الاحتلال لخير ولمصلحة السكان وذلك بتأثير الدعاية والنفوذ الصهيوني لدى الدول الغربية مما أدى إلى طمس الحقائق وعدم إدراك الكثيرين لحقيقة أوضاع الفلسطينيين .

والآن ..

ورغم أي شيء فنحن مدينون بالشكر كل الشكر لبسام الشكعة وللشهداء الفلسطينيين الشجعان الذين قدموا حياتهم من أجل وطنهم .

بفضل هؤلاء صار العالم يدرك بشكل أكبر حقيقة المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني سواء هؤلاء الذين يعيشون في المنفي بعد أن طردوا بقسوة أو أرغموا على ترك وطنهم .

وكذلك أولئك الذين يعيشون في الداخل في ظل ظروف اضطهاد بالغة البشاعة حيث يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية ويتحملون الاضطهاد والإذلال بشكل يفتقر إلى أبسط قواعد العدالة .

من خلال إرادته القوية وموقفه البطولي استطاع عمدة نابلس أن يقدم للعالم

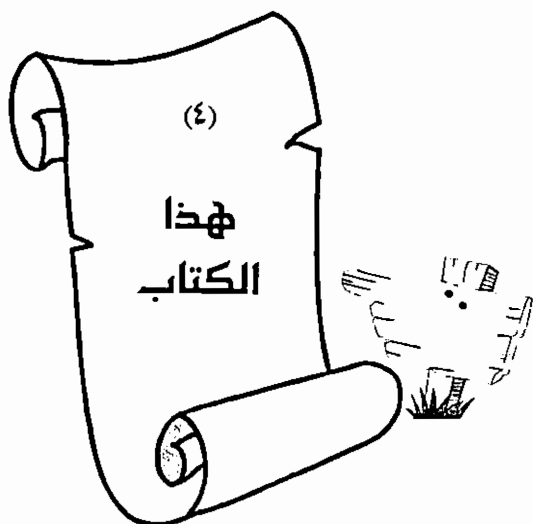
قضية فلسطين وطبيعة شعبها .

ولهؤلاء الذين سوف يقرأون قصته سوف يزدادون استبصارًا ومعرفة في نفس الوقت نفسه شعب فلسطين .

ماريون ولفسون

بسام الشكعة
رجــــل
وشـــعب
في مواجهــة
الاحــتلال







بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس . هذه المدينة الفلسطينية العريقة . صار موضعا لاهتمام واسع في العالم بسبب شجاعته الفائقة ومواجهته للطغيان والظلم حين اعتقلته سلطات الاحتلال الإسرائيلي وحاولت طرد ه من وطنه بلا اتهام ولا محاكمة .

حين أعلن إضرابه عن الطعام في السجن كان هناك احتجاج عالمي . واضطرت سلطات الاحتلال للإفراج عنه . ومع ذلك كان لدى الصهاينة تصميم على التخلص من هذا الوطني الفلسطيني وما يسببه لهم من متاعب . وتم وضع قنبلة في سيارته ، انفجرت وترتب على ذلك أن فقد ساقيه .

يلقي هذا الكتاب الضوء على حياة ونضال بسام الشكعة متتبعا الأحداث المتعاقبة في فلسطين والتي ترتب عليها ضياع الوطن في أيدي المستوطنين الأجانب .

إن قصة بسام الشكعة ونضاله من أجل العدالة هي أيضًا القصة التراجيدية للشعب الفلسطيني، الذي يعيش في المنفى بعد أن تعرض للطرد من وطنه بوحشية أو يعيش أبناؤه في الداخل كمواطنين من الدرجة الثانية ويعاملون من سلطات الاحتلال بأساليب بربرية .

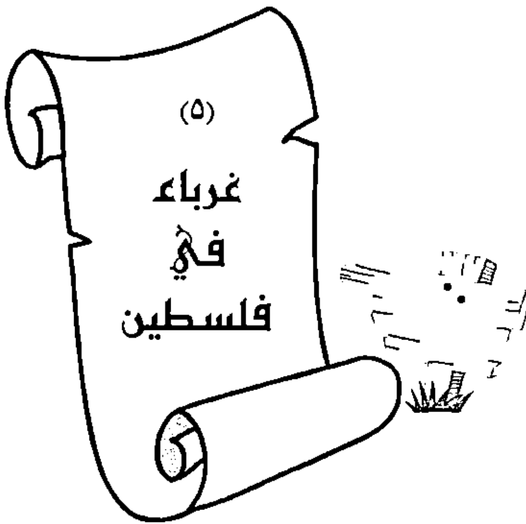
ورغم أي شيء لم يفقد بسام الشكعة تفاؤله ولا شجاعته . فهو ما يزال مصرا على خدمة نضال شعبه . مؤمنا أنه لابد أن يأتي اليوم الذي يسود فيه العدل وأن يكون هناك يوما نهاية لمعاناتهم الصعبة والمروِّعة .

وأنهم سوف يكون لهم حق تقرير المصير في إقامة دولتهم المستقلة ، التي ناضلوا من أجلها طويلا .





بسام الشكعة
رجل
وشعب
في مواجهة
الاحتلال





ولد بسام الشكعة في نابلس عام ١٩٣٠ فهو إبن أحمد الشكعة . وكان والده تاجرًا ثريًا لديه مصنع للصابون ودار عرض سينما ومحطة بنزين .

كان بسام صغيرا بين أحد عشرة من الإخوة والأخوات . خمسة أشقاء ذكور وستة من الأخوات الإناث .

وقد تلقي تعليمه في نابلس وبعاطفة الحب القديمة التي كان يجيش بها تجاه وطنه فلسطين وتجاه أسرته . هذه العاطفة التي تتسم بها الشخصية الوطنية العربية الفلسطينية .

وكانت عائلة الشكعة تتسم بالترابط والمودة فيم بينها . وخصوصا عندما تم طردهم من الأماكن التي عاشوا بها في فلسطين إلى أماكن أخرى .

أحيانا كانت العائلة تقوم بزيارات إلى يافا أو إلى تل أبيب ، وخلال تلك الرحلات كانوا يلتقون باليهود العرب الذين يعيشون معهم على أرض فلسطين .

وكانوا يلقون معاملة من المسلمين والمسيحيين تتسم بروح المودة والإخاء .

وفي تلك الأيام الأولى من طفولته بدأ الصغير بسام يسمع كلمة مخيفة ومنُفرة . هذه الكلمة هي الكلمة «الصهيونية» التي سرعان ما ارتبطت في ذهنه بأولئك اليهود القادمين من شرق أوربا والذين سرعان ما أنشأوا لهم مستوطنات وتعاملوا مع المسلمين والمسيحيين الفلسطينيين بروح الكراهية والازدراء والاحتقار.

ولم يمضي وقت طويل حتى أدرك بسام أن القادمين الجدد يعتزمون انتزاع وطنه .

وبالنظر إلى تلك هذه الفترة نجد أنه من الغريب أن العالم أجمع - بدون أي تساؤل - تقبل فكرة الصهاينة التي ادعت أنه ليس في نيتهم أن تكون كل أرض فلسطين ضمن الدولة اليهودية مع ذلك فقد تقبل العالم - بلا أي تساؤلات كل الأفكار والتصريحات الصهيونية اللامنطقية والمتناقضة والكاذبة التي أدعت أن

الفلسطينيين حرموا أنفسهم من البقاء في الدولة برفضهم تقسيم وطنهم مع تسليم الجزء الأكبر والأكثر خصوبة للأقلية من جماعات المستوطنين الأجانب .

وخلال دراساته ومطالعاته أدرك بسام أنه لم يكن هناك حالة شبيهة أو مماثلة في التاريخ الإنساني أو في الأعراف والقوانين الدولية لحالة الشعب الفلسطيني الذى طرد من أرضه .

وحين يتذكر ذلك فإنه يقول : أن الغرب كان سعيدا بما جرى فقد تمت عمليات غسيل مخ له .. فالصهاينة الذين كانوا من أصول أوربية أو أمريكية في أغلبهم . وكانت لهم خطط تتسم بالغش والخداع والوقاحة وغالية التكلفة . وفي مواجهة ذلك كله ضاعت أصوات الفلسطينيين المطرودين من أرضهم .

لقد ذهبت أدراج الرياح . وبمرور الزمن صار النضال الفلسطيني معركة من أجل البقاء أكثر مما هو لتأكيد حقوقهم القديمة .

«لقد كنا هناك على أرض فلسطين » . هكذا يقول بسام الشكعة .

لقد كنا نؤكد للعالم أننا لسنا فقط شعبًا عاش على هذه الأرض ولكن كنا موجودين عليها من قديم الأزل ولذا كان علينا أن نناضل في سبيل حقوقنا التي لا تقبل التنازل .

ولأن الصهاينة اليهود كانوا يعتقدون أنهم دائما الشعب المختار والأقوم أخلاقًا فإنهم لم يكونوا أبدا يقدمون تنازلات ويقبلون بفكرة أنهم على خطأ .

وهذا الموقف ـ كما يقول الشكعة ـ خلق مواقف أكثر تعقيدًا إذ أنك لكي تجعل الناس يصدقون الأكاذيب إلى الأبد لابد أن تحجب عنهم الحقيقية من جميع الاتجاهات وأن تسد جميع القنوات الفرعية التي تصب في النهر الرئيسي .. ولكن بينما أنت تسد هذه القنوات فإذا بتسرب يحدث من إحداها .

وبسبب الشجاعة الفائقة لبسام الشكعة ـ هذا الرجل المتواضع ـ تم الكشف عن الكثير من الحقائق البغيضة للاحتلال الصهيوني داخل الأرض المحتلة . هذه الحقائق أوضحت مدى الزيف والخداع اللذان يتعرض لهما العالم من الصهاينة حتى الآن .

وباسترجاع تلك الأيام البعيدة والعودة إلى مجريات الأحداث خلالها سوف يكون من الواضح لأي واحد يتوق إلى إدراك الحقيقة أن هناك خططا غريبة تم تدبيرها للشعب الفلسطيني .

فقد استبعدت قوى الغرب شكوك ومخاوف الفلسطينيين في مواجهة القرار الذي تم تبنيه في مؤتمر بلتيمور الصهيوني سنة ١٩٤٢ الذى دعا إلى إقامة دولة يهودية على كل أرض فلسطين وأعلن أن الأقلية اليهودية سوف تكفل نفس الحقوق التي تتمتع بها الأقلية اليهودية للأغلبية من الفلسطينيين العرب .

وفي مؤتمر مدينه أتلانتا الذى عقد سنة ١٩٤٤ أعلن الصهاينة لكل العالم أنهم لا يطالبون فقط بإقامة الدولة اليهودية على كل أرض فلسطين غير مقسمة وغير منقوصة . وطبقا لما قاله الكاتب اليهودي الدكتور : حنا أرنوت في كتابه « إعادة الاعتبار للصهيونية »ـ «طبعة مكميلان » : في ذلك الوقت لم يذكر أي شيء عن العرب الفلسطينيين في مشروع القرار ولكن ترك لهم الخيار إما الهجرة من الأرض إلى خارج فلسطين أو قبول الإقامة بشرط أن يعيشوا كمواطنين من الدرجة الثانية .

وعندما بلغ بسام الشكعة سن الرجولة تزايد لديه الإدراك بما يهدف إليه الصهاينة للأراضي الفلسطينية وسكانها العرب . هذه الأهداف التي استخدم الصهاينة أفظع وأبشع الوسائل لتحقيقها معتبرين أن العالم سوف يجد التبرير الأخلاقي لما يفعلون باعتبار أنهم أصحاب قضية عادلة .

وهكذا كان للسيدة جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية أن تعلن أنه ليس هناك ما يسمى «الشعب الفلسطيني» إنهم لا وجود لهم .

أيضا من البداية كانت الكتب والصحف والمطبوعات والنشرات الصهيونية حين تتحدث عن السكان على أرض فلسطين تعنى بهم اليهود .

وكانت هناك عدد من الإدارات الخاصة التي شكلها اليهود لتتعامل مع الشئون العربية الفلسطينية لمن ولدوا على هذه الأرض وعاش عليها أسلافهم لأجيال طويلة وتصفهم باسم : الأجانب أو الغرباء .

ورغم أن الأغلبية من الأوربيين المساندين والمؤيدين للصهيونية قبلوا بلا تفكير أو تساؤل هذه المواقف التي أعلنها الصهاينة . فإن بسام الشكعة ورفاقه من الفلسطينيين كانوا يعلمون السبب وهو أن الصهانية لو اعترفوا بالوجود الفلسطيني على الأرض لكان هذا سندا قويا في مطالبتهم التي لا ينكرها أحد عن تقرير المصير وبالتالي سيدرك العالم أن الصهاينة اغتصبوا منهم هذا الحق .

يوضح الشكعة : لقد كان ينبغي أن ندافع عن حقنا من البداية ولقد أساءوا تقديرنا . لم يبذلوا أبدا أي محاولة لفهمنا ربما لأنهم لم يعطوا الأمر أي أهمية . ولكنهم يدركون مدى الخطأ الذى ارتكبوه وكانوا دوما يتوجهون باللوم لكل من يشير - محرضًا - بطرف خفي إلى المقاومة الفلسطينية .

وحين كانت تواجههم تحديات المعارضة كانوا يقولون للعمد الفلسطينيين : « أنتم الذين تجعلون الناس يسلكون هكذا.. » .. ويرفضون أن يتفهموا حقيقة أنهم في مواجهة مع الشعب الفلسطيني وهو ببساطة شعب قادر على التفكير ، وقادر على حكم نفسه ، ولكن الصهاينة غير قادرين أبدا على إدراك هذه الحقيقة البسيطة .

ربما يحدث ذلك لأن الصهاينة اعتبروا أنفسهم يمثلون كل يهود العالم ، وإن كانوا

في الحقيقة لا يمثلون سوى أنفسهم ، وبسبب إخفاقهم في التبرؤ من الأفكار الصهيونية فإن أغلب اليهود يبدون - لأهداف تكتيكية - متقبلين للادعاءات الصهيونية .

وحين يتحدث بسام الشكعة عن اليهود الذين يرفضون الصهيونية فإن حديثه يتسم بالدفء وبالعرفان .

مأساة الشعب العربي الفلسطيني وإلى حد ما أيضا يهود إسرائيل - ترجع إلى تجاهل ما جاء به الأنبياء اليهود الحقيقيون .

أحد هؤلاء الأنبياء هو آشر جيز برح الذى تخفى باسم مستعار : آحادها آم (واحد من الناس) محذرًا اليهود الصهاينة من الأخطار التي تترتب على تصرفاتهم .. فقد كتب عام ١٨٩١ عن المستوطنين اليهود في فلسطين : لقد كانوا عبيدا في الشتات وفجأة وجدوا أنفسهم يتمتعون بحرية غير محدودة وهذا التغيير أيقظ بداخلهم الميل إلى الطغيان .

أنهم يتعاملون مع العرب بروح العداء والقسوة ويحرمونهم من حقوقهم ويفخرون بهذه الأعمال بينما لا أحد من بيننا بواجه هذه الميول الخسيسة والخطيرة .

ويبدى الكاتب أسفه لأن اليهود الشرقيين رفضوا أن يتعلموا لغة العرب الفلسطينيين وأن يتفهموا عاداتهم ، ويشير إلى حقيقة أن الصهاينة كانوا يصفون العرب بأنهم متوحشون لا يدركون ما يجرى حولهم .

يضيف : مع هذا فهذه غلطة كبيرة لأن العرب فهموا ما يجرى حولهم ولكن لم يدركوا الخطر الماثل على مستقبلهم من جراء الأنشطة الصهيونية ولهذا لم يظهروا أي احتجاج ضد هذه الأنشطة .

عام ١٩١١ كتب : « بالنسبة للحرب ضد اليهود فقد كنت شاهدًا عن بُعد بقلب

مليء بالألم وخصوصًا بسبب الحاجة إلى نفاذ البصيرة والفهم من جانبنا إلى أقصى حد . في واقع الأمر لقد كان الدليل واضحًا قبل عشرين عامًا مضت أنه سيأتي اليوم الذي يقف فيه العرب ضدنا ».

من المدهش حقا أن نذكر أنه لو كان هذا الكاتب اليهودي «آحادها أم» على قيد الحياة الآن ماذا كان سيكون موقفه بالنسبة للموقف الراهن اليوم ؟؟!

وبالعودة إلى الماضي يقول السيد بسام الشكعة : لقد أدركت حين كنت صغيرا جدا كيف جرى التخطيط للمسألة الفلسطينية . الشعب والناس البسطاء لم يكونوا يضعون في حسبانهم أكان هناك شيء يمكن عمله لمنع وقوع الكارثة ؟

أنا لا أعتقد ذلك أن العالم بأسره لم يكن يتجاهل فقط ما يجرى ضدنا ولكن أيضا كان يساند ويقف بإيجابيه مع الصهاينة .

رغم أنه كانت هناك محاولات كثيرة لطمس الحقائق وجعلها غامضة حول قضية أمل الفلسطينيين ، لكن الأمر الذي لا يحتاج إلى أي مناقشة هو أنهم هم السكان الأوائل الذين عاشوا على الأرض الفلسطينية قبل ١٣٠٠ عام . وكما يقول مكسيم رودنسون في كتابه «إسرائيل والعرب» « طبعة بنجوين : الاثنان عاشا معًا وصار شعبًا واحدًا .

ويصرف النظر عن الحقيقة التي تؤكد أنه عند هجرة يهود شرق أوربا إلى فلسطين كان ٩٢٪ من سكانها من العرب . فإن اليهود لم يكن لهم الحق مطلقا في الادعاء السخيف بالبقاء في هذه الأرض لمجرد أنهم في الماضي ألفي عام أقاموا ولفترة قصيرة مملكة يهودية وبالنسبة لوعد بلفور فإن بريطانيا لم يكن لها الحق أن تتخذ قرارًا بشأن فلسطين دون استشارة الأغلبية من أهلها ووهم العرب .

هذا بالإضافة إلى الفكرة الزائفة القائلة بأن الفلسطينيين فقدوا حقهم في المواطنة

على أرضهم لمجرد أنهم عارضوا قرار التقسيم الشبع وغير العادل .

أيضا لقد كان هناك ادعاء زائف بأن الفلسطينيين الذين تم طردهم من أرضهم ليس لهم الحق في العودة إلى هذه الأرض لأنهم رحلوا عنها بمحض رغبتهم بناء على تعليمات وأوامر صدرت إليهم من الزعماء العرب .

« وحتى لو كانوا قد رحلوا عن أرضهم بمحض رغبتهم فليس هناك قانون يقضي بأن من يرحل من أرضه يحرم من حق العودة إليها » ومن ناحية أخرى كان الصهاينة يطالبون اليهود في كل أنحاء العالم بالهجرة إلى إسرائيل في نفس الوقت الذى يستخدمون فيه كل الحجج والذرائع الواهية لرفض عودة الفلسطينيين المطرودين من أرضهم .

وحين يرى بسام الشكعة ما حدث لشعبة فإنه يشعر أن رد الفعل لدى الغرب كان محبطًا .

لقد أجبر الفلسطينيون تحت تهديد السلاح الموجه إلى صدورهم على مغادرة مزارعهم وأراضيهم .

كان هناك عدة آلاف من العائلات الفلسطينية التي تروي قصصًا مأساوية عما جرى .

يقول الشكعة : ولكن من يستمع إليهم ؟ لا أحد يهتم بذلك في الغرب فقد تقبلوا الأكاذيب الغبية التي راجت بينهم وتقبلتها ضمائرهم لأن هذا قد بدا لهم الطريق السهل .

وبعد سنوات حين بدأت الحقائق تظهر في الغرب لم يتقدم أحد بأي اعتذار ينم عن خجلهم من الأكاذيب والبهتان الذى انتشر بينهم .

ورغم ذلك فلقد كانت هذه نقطة تحول فاصلة في إدراكهم لحقيقة أن

الفلسطينيين كانوا أكبر ضحايا للظلم في تاريخ البشرية . ولقد أدرك الفلسطينيون أنفسهم عدم صدق القصة الشائعة والتي تكررت كثيرا بأنهم تركوا وطنهم عقب أوامر صدرت إليهم من القادة والزعماء العرب تأمرهم بالرحيل .

وفي عام ١٩٥٩ نشر المفكر الفلسطيني الأستاذ وليد الخالدى بحثًا مجتهدًا أثبت فيه أن القادة العرب في نداءاتهم الموجهة بالإذاعة إلى الفلسطينيين لم يطالبوهم بالرحيل . بل بالبقاء والتمسك بالأرض .

عام ١٩٦١ نشر الصحفي البريطاني أرسكين تشيلدرز القصة كاملة في مجلة سبكتاتور الإنجليزية . ومنذ ذلك الحين أدرك الكثيرون في الغرب أن الفلسطينيين لم يتركوا أرضهم طواعية ولكنهم طردوا منها بشتى أساليب العنف والقسوة .

ولعدة سنوات قريبة نسبيًا ظل الصهاينة يتكتمون ما جرى من تدمير كامل لـ ٣٨٥ قرية فلسطينية بعد ترحل سكانها العرب .

ويقول بسام الشكعة : إنها مسألة وقت فقط لتظهر الأيام المزيد من الحقائق المرعبة عن وقائع أخرى للاغتصاب الصهيوني - لأنه كما يعتقد - لا يستطيع أحد إخفاء الحقيقة إلى الأبد .

وفي كثير من الأحيان يبدى بسام الشكعة إحساسه بالدهشة إزاء بعض الوقاحات في المزاعم الصهيونية . ومن أمثلة ذلك الادعاء الذى يتردد كثيرا بأن الصهاينة لم يكن في نيتهم طرد الفلسطينيين .

ومع ذلك فقد نوقش هذا الموضوع في « باولا زيون » : مؤتمر العمل الصهيوني بزيورخ عام ١٩٣٧ في سويسرا عندما قرر دافين بن جوريون وجولدا مائير - كلاهما صار رئيسا للوزراء فيما بعد - قررا ومعهما زعماء آخرون للحركة الصهيونية - طرد الفلسطينيين - إلى الأقطار العربية المجاورة .

قال دافيد بن جوريون شارحًا سياسة الترانسفير « الترحيل » : لدينا خطة لطرد السكان العرب وترحيلهم خارج فلسطين أما برغبتهم إذا أمكن ذلك وإما بالقسر والإجبار إذا تطلب الأمر لتوسيع الاستيطان اليهودي .

وأضاف بن جوريون : إنه لا ينظر إلى التقسيم باعتباره الحل النهائي للمشكلة . فهذا الوطن لم يعطي لنا كي نقسمه .فهو يمثل وحدة واحدة ليس فقط تاريخيًا ولكن من الناحية الطبيعية والاقتصادية .

لعل هذا هو الموقف الصهيوني المعلن والثابت خلال عام ١٩٣٧ حتى الوقت الراهن وهو ما أكدته الأحداث في المراحل التالية .

في الواقع كشف كثير من القادة الإسرائيليين حقائق جديدة كانوا قد أنكروا وقوعها قبل ذلك بشكل عنيف .

وفي سيرته الذاتية التي خضعت للرقابة في إسرائيل وفي دول الغرب ولكن تم نشرها في صحيفة نيويورك تايمز قام رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحق رابين ومعه بن جوريون وايجال آلون الذى شعل منصب وزير الخارجية ـ قاموا بمناقشة مصير ٥٠ ألف فلسطيني يعيشون في اللد والرملة أشار بن جوريون بيده في إيماءة قائلا : اطردوهم خارج البلاد .

وتشاورنا .. آلون وأنا .. وكنا متفقين على شيء أساسي : ضرورة طرد السكان ولم يكن هناك وسيلة أخرى سوى إطلاق الرصاص عليهم وإجبارهم على الرحيل بالقوة .

ولهذا ليس مما يدعو للدهشة أن بسام الشكعة خلال السنوات طفولته الأولى عاش في قلق وإحساس بالتوتر وكلما نما إدراكه ونضج زادت معرفته بما يحدث لشعبة ولوطنه .

ويشرح الموقف قائلا : الأمر أشبه بأن لديك جارًا جديدًا يتحرك في اتجاه واحد . أنت تبدى ناحيته مشاعر المودة والترحيب . لكن القادم الجديد يبدى ناحيتك مشاعر عدائية .قاسية . جافة . لماذا ؟

فجأة سوف تبدو لك حقيقة قاسية وهي أن جارك لا يشاركك فقط في الملكية لبيتك ـ ولكن هو يريد البيت كله وأنت تعيش خارجه .

الأمر كله يخلو من المنطق ولا يحكمه العقل وأنت لا تملك السلاح للدفاع عن نفسك ولا تستطيع أن تخاطب فيه الطبيعة الخيرة – لأنها لا توجد بداخله – وإذا حاولت أن تدافع عن حريتك وحياتك وملكيتك فسوف يقولون أنك عدواني . وربما يصفونك بأنك إرهابي .

ظلت معاناة الشعب الفلسطيني مستمرة حتى عام ١٩٤٨ ـ وما بعدها . وكما تروى صحيفة يديعوت أحرونوت عن القائد الصهيوني ياشياهو بن بورات في ٨ سبتمبر ١٩٧٢ الذى قال أنه وصل إلى إسرائيل سنه ١٩٤٥ وأنتمي إلى حركة الشباب الصهيوني .

وحين كان في السابعة من عمره ـ كما يقول تلقى تدريبا عسكريا بهدف القتال في فلسطين . « حين كنت صبيا في النمسا كان قد تولد لدى إحساس أنه سيأتي اليوم الذى نحتاج فيه إلى استخدام السلاح لإخضاع الفلسطينيين وتم تدريبي على كيفية طرد السكان العرب .

ونمت بداخلي فكرة أن أرض إسرائيل هي أرضنا وأن سكانها العرب الذين يعيشون عليها سوف يكون لهم الخيار أن يعيشوا عليها بشرط ألا يضايقوننا أو يسببوا لنا المتاعب . وإذا حدث ذلك سوف نطردهم . لم نتلقى تدريبا على كيفية احترام جيراننا العرب . في التفكير الضمني وأحيانًا الصريح : إنهم سوف يذهبون

.. ونحن سوف نبقى .

ومنذ سنوات عمره المبكرة إدراك بسام الشكعة حقيقة الموقف الذى تمثل في أن وطنه سوف يحتله هؤلاء الأجانب الذين جاءوا إليه تاركين أوطانهم الأصلية وقد تدربوا كما أشار إلى ذلك بن بورات على غزو واحتلال أوطان شعب آخر .

يقول بسام الشكعة : ماذا كان بوسعنا أن نفعل ؟ لقد كنا بلا قوة . كان الأمر أشبه ببعض المآسي الإغريقية المحتومة والمقدرة على البشر . وكانت النتيجة الوحيدة لذلك هو قيام دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ التي سرعان ما توسعت في حدودها الإقليمية التي حددها قرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ .

ومنذ صدرت توصية الأمم المتحدة .. قام الصهاينة بالهجوم احتلال أراضي فلسطينية كانت ضمن حدود الدولة العربية .

وحين دخلت الجيوش العربية لمنع الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية قامت الدعاية الصهيونية بتصوير الموقف على أنه غزو تقوم به الجيوش العربية للدولة الوليدة ومحاولة لإفناء وإبادة اليهود .

وظلت محاولات الفلسطينيين لاستعادة حقوقهم وكذا كافة ردود الفعل العربية العادلة إزاء الهجمات الإسرائيلية على المناطق العربية من فلسطين . ظلت هذه المحاولات تفسر على أنها محاولات لسحق وإبادة اليهود .

وظلت أي مطبوعات تنشر في صحافة أوربا الغربية عند مناقشة القضية الفلسطينية تشير إلى محرقة «الهولوكست» وتدعى أن اليهود في إسرائيل مهددون بالإبادة الجماعية رغم أن في الحقيقة أن المهددين بهذه الإبادة الجماعية هم الفلسطينيون العرب .

يروى دكتور ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي في مايو ١٩٧٠ بجريدة لوموند : نحن لم نفشل فقط في فهم الشخصية العربية .. لكننا أنكرنا مسئوليتنا عما اعتبروه هم ظلمًا جائرًا حاق بهم .

لقد اعتبروا أننا انتزعنا منهم وطنًا كانوا هم الأغلبية فيه لعدة قرون . وحقيقة أنهم لم يحكموا هذا الوطن مسألة ثانوية . هناك شعوب أخرى حققت استقلالها في العصر الحديث رغم أنها كانت واقعة تحت السيطرة الأجنبية .

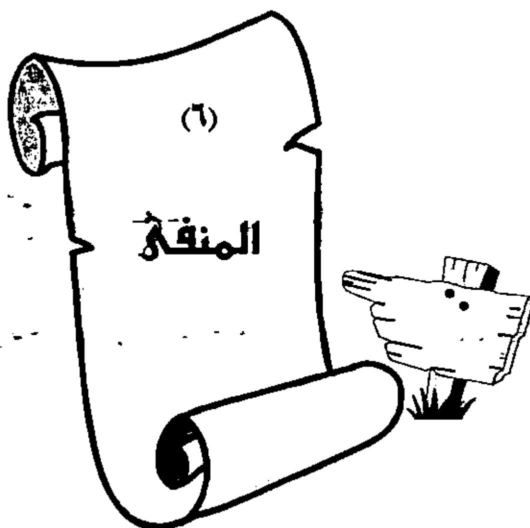
من المهم هنا ملاحظة تعبير : نحن الذى استخدمه د. جولد مان ـ كمواطن أمريكي.

تضيف : لقد حاولنا أن نفرض عليهم تصوراتنا . وحاولنا نحقق أهدافنا بالقوة العسكرية وبتدخل القوى الأجنبية لصالحنا .



بسام الشكعة
رجـــــــل
وشــــعب
في مواجهــة
الاحــــتلال







عام ١٩٤٨ أدرك بسام الشكعة أن بوسعه العمل من أجل قضية بلاده بشكل أفضل من خارج فلسطين التي قسمت والتي احتل الصهاينة الجزء الأكبر منها والأكثر خصوبة ـ وبين الأردن التي كان يتبعها ما عرف باسم الضفة الغربية بينما ظل قطاع غزة تحت الإدارة المصرية .

في تلك الفترة كان العالم يعرف القليل عن مأساة الشعب الفلسطيني ولا يكاد يمنحها اهتماما يذكر .

الفلسطينيون الذين كانوا خارج وطنهم لقضاء أجازاتهم أو في بعض أعمالهم وحاولوا العودة بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ تم القبض عليهم واعتبرتهم سلطات الاحتلال « متسللين » وسجنوا أو تم ترحيلهم ثانية من بلادهم بعد مصادرة أملاكهم .

قام الصهاينة في الحال بتوطين أعداد كبيرة من اليهود في المناطق التي استحوذوا عليها لمنع العرب الفلسطينيين من العودة إليها .

وبهذا لم يجد الفلسطينيون مكانًا لهم سوى العيش في مخيمات اللاجئين أو في الدول المجاورة . وكانوا بالليل يحاولون العودة لجني المحاصيل في مزارعهم التي تركوها وأدت محاولات المقاومة التي قام بها بعض الشباب الفلسطيني الذين كانوا يتسللون داخل الأرض الفلسطينية إلى خلق ردود فعل وحشية من الإسرائيليين تجاههم وأدت إلى توترات عديدة على الحدود وأيضا مع الفلسطينيين .

ترك بسام الشكعة دراسته وعاش في سوريا حيث صار عضوا بحزب البعث لأنه أحس أن هذا يتيح له الفرصة للعمل من أجل الوحدة العربية وأنه يتيح له إقامة قاعدة عربية من العمل المشترك لمقاومة الصهيونية والامبريالية . كلمة البعث تعنى النهضة «رينسانس» .

وأحس بسام الشكعة أن هناك حاجة ضرورية لرؤية جديدة لدى جيل جديد ليس فقط بين الفلسطينيين ولكن بين العالم العربي كله . هذا العالم العربي الذى قسمت ولاياته إلى أجزاء وحدود مصطنعة أقامها الامبرياليون مما أدى إلى التجزئة . وكانت سياسات التجزئة هي أسلوب هؤلاء الامبرياليين في حكم العالم كلمه .

صار بسام الشكعة شخصية معروفه بين القيادات البعثية . وأعلن حزب البعث، الذى أسسه ميشيل عفلق أهدافه متمثلة في الوحدة والحرية والاشتراكية .

ولكن واقعيا كانت هذه الشعارات والنظريات السياسية التي تتبعها الأحزاب والأنظمة الأخرى كانت لمجرد خدمة أغراضهم الزائفة الأمر الذي أدى إلى وضع البذور للانشقاقات الموجودة على الساحة اليوم .

في وصف دقيق لهذا الموقف يقول طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي : « أن الحركة كانت قوية ونشطة في فترة الخمسينيات وجاذبة للملايين من الجماهير العربية وبتأييد هذه الجماهير حققت انتصارات عظيمة . ثم بدأت تضعف قوتها حين فقدت علاقتها بالجماهير وبالتالي قدرتها على مواجهة الاستعمار .الصهيوني وعلى تحقيق أهدافها .

وفي عام ١٩٥٩ ـ بسبب التناقضات التي اكتشفها الكثير من الشباب وبسبب التطورات الجارية والتمايز الطبقي بين قيادات الشعب وقواعده بدأ بسام الشكعة يتحرر من الكثير من الأوهام وانفصل عن عضوية الحزب .

بعد عامين تزوج بسام الشكعة من زوجته السيدة عناية . ولديهم الآن أربعة من الأبناء الذين أثبتوا شجاعتهم .

وتتميز زوجته بجمالها وشخصيتها الآسرة وعواطفها القوية وذكائها الوقاد. ولذا ساندت زوجها بسام الشكعة في شتي ظروف نضاله . ولذا هو يقول أحيانًا

ضاحكًا : «إنني أخشى في بعض الأحيان أن تستغرقني قضية فلسطين فأنسى الاهتمام بزوجتي عناية ولكنها أبدًا لا تشكو أو تبدى أي نوع من القلق.

هما معًا في نضالهما من أجل القضية الفلسطينية يتمثلان ببعض الأشعار المكتوبة بعاطفة قوية تميز الفلسطينيين تجاه وطنهم والتي ربما تشرح أكثر من أي شيء أخر التصميم العميق والإرادة القوية لدى رجال مثل بسام الشكعة يواجهون الظلم والطغيان يتمثل بقصيدة للشاعرة الفلسطينية فدوي طوقان التي هي أيضا تنتمي لمدينة نابلس والتي اعتبر الصهاينة قصائدها خطرًا ضد وجودهم .

وبعد الاحتلال الإسرائيلي لمدينة نابلس بالضفة الغربية سنة ١٩٦٧ منع الجنرال موشى ديان الشاعرة فدوى طوقان من كتابة قصائدها ونشرها .

كتبت :

بعيدًا عن آمالك التي تدوسها الأقدام
وبعيدًا عن نموك المصلوب
وابتساماتك المسروقة
ابتسامات الأطفال المسروقة
وعن السفن المحطمة
والتعذيب
وبقع الدم التي تلطخ الجدران
وعن ارتعاشات الحياة والموت
سوف تولد الحياة
أيها الأرض العظيمة

أيها الجرح العميق

والحب الوحيد

....

....

لم يتفهم العالم الغربي المشاكل التي ترتبت على وجود الفلسطينيين في المنافي بسبب التعتيم الإعلامي وبسبب القمع .

وترتب على أحداث الأردن في أيلول الأسود (سبتمبر ١٩٧٠) أن بدأ العالم يدرك أبعادًا جديدة للمشكلة . وكذا بعد الغزو الإسرائيلي للبنان سنة ١٩٧٨ وهو الحدث الذي ترتب عليه أحداث أخرى أصبح بعدها بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس شخصية معروفة على المستوى الدولي .

في أعقاب كل عملية فدائية - تقع فعلاً أو محتملة - وكذا عمليات المقاومة داخل إسرائيل كان يجري قصف جوي للبلدان العربية المجاورة . ولم تكن هذه العمليات تهدف إلى توقيع العقاب على رجال المقاومة الفلسطينية المقيمين في الأردن . ولكن أيضًا كانت تهدف إلى قتل وإبادة الفلسطينيين .

وكان أغلب ضحايا هذه الهجمات من المدنيين الفلسطينيين سكان المخيمات وكذا من أبناء البلدان العربية المجاورة لخلق حالة من الاستياء والكراهية بينهم وبين اللاجئين الفلسطينيين . باعتبار أن وجودهم هو سبب هذه الضربات الانتقامية .

بعد أن أمضى بسام الشكعة عامين ونصف متخفيًا في نابلس صار لاجئًا سياسيًا في سوريا حيث قامت السلطات باعتقاله لمدة ١٩ يومًا ثم تم ترحيله إلى لبنان . وبعدها ذهب إلى القاهرة التي أمضى بها ثلاثة أعوام ثم ذهب إلى الأردن بدعوة من رئيس الوزراء الأردني وصفي التل . وعاد معه إلى الأردن الكثيرون من رفاقه من

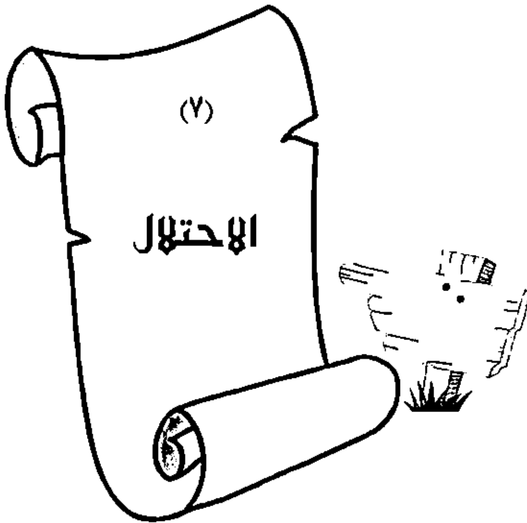
رجال المقاومة الفلسطينية .

مع ذلك سرعان ما حدثت اضطرابات في الأردن حيث كان الإسرائيليون يشنون هجمات على القرى الفلسطينية . وحين نظم الفلسطينيون مظاهرات ضد هذه الهجمات تم اعتقال بسام الشكعة وثلاثة من أخويه وأبنائه لمدة ثلاثة أسابيع .



بسام الشكعة رجل وشعب في مواجهة الاحتلال







عام ١٩٦٧ نشبت الحرب التي تعد حربًا عدوانية في ٥ يونيو . لكن العالم اعتبرها عملا دفاعيًا وقائيًا حيث كانت إسرائيل مهددة بالإبادة ولم يأت عام ١٩٧٢ حتى كشفت الصحافة الإسرائيلية الحقيقة من خلال تصريحات صحفية أدلى بها جنرالات الحرب السابقون الذين شاركوا في الهجوم وأعلنوا أن إسرائيل لم تكن معرضة لأي نوع من التهديد وأن الهدف الوحيد من الحرب كان فرض الإذعان والاستيلاء على الأرض العربية . والأمر الذي يدعو إلى الدهشة أنه بالرغم من الحقيقة التي تم الكشف عنها ـ من هدف إسرائيل من عدوان ١٩٦٧ ـ إلا أن الصحافة الغربية تجاهلت هذه الحقيقة .. فهذه الصحافة تعتبر أن أي عدوان إسرائيلي على أي أرض عربية مبرر بأن الدولة الإسرائيلية مهددة بالإبادة والتدمير .

وإذا ما أخذنا في الاعتبار حجم الجيش الإسرائيلي ونوعية تسليحه الحديثة والميزانية الضخمة المخصصة للشئون العسكرية ـ فإن مبعث الدهشة هو أن الصحافة الغربية ـ في انحيازها لإسرائيل ـ تتسم بالسذاجة والجهل بالحقائق والغباء إلى أقصى حد .

يقول بسام الشكعة : الإسرائيليون يبررون أفعالهم بالحديث عن الماضي ومعاناة اليهود .

ويضيف بسام الشكعة : ولكن ألم نواجه نحن الفلسطينيون الكثير من المعاناة وما نزال .

أنت ترى أن المشكلة تكمن في أن الصهاينة لم يغيروا طريقة تفكيرهم وما تزال لديهم نفس الاعتقادات التي كانت لديهم منذ قرن مضي .

هم ببساطة لم يدركوا أن العالم قد تغير . الإمبريالية والاستعمار صارا خارج التاريخ .

الدول الأوربية تخلصت من مستعمراتها ولكن إسرائيل تعيد عقارب الساعة إلى الوراء وللمحافظة على تحقيق أهدافها الصهيونية تقيم إسرائيل علاقاتها مع أكثر الدول رجعية في العالم .

الحليف الرئيسي لإسرائيل هو الولايات المتحدة الأمريكية .. وها أنت ترى النتيجة وهي أن المرشحين للرئاسة يمضون في حملاتهم الانتخابية متحدثين عن مشكلات إسرائيل أكثر مما يتحدثون عن مشكلات أمريكا .

ويتحدث بسام الشكعة بسخرية قائلا : سوف يأتي الوقت الذي يأتي فيه مرشح للرئاسة له سياسات متعقلة متوازنة ذات طابع إنساني فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية إذا تم تأجير الرئيس من الخارج .

ويعود بسام الشكعة ليكتسي وجهه بطابع الجدية مرة أخرى قائلا : كل جرائم الحرب التي ترتكبها إسرائيل في الأراضي المحتلة هي نتيجة حتمية للعقلية الاستعمارية القديمة التي لا تتقبل حقيقة أن سكان المستعمرات أحرار ولهم حقوق متساوية كاملة مثلهم مثل غيرهم في أنحاء العامل . ثم يشير إلى المادة ٤٩ من قوانين معاهدة جنيف التي تقرر بوضوح : يحظر طرد الجماعات والأفراد وترحيلهم من أوطانهم وأراضيهم المحتلة مهما كانت الأسباب .

مع ذلك وبعد احتلال إسرائيل للأراضي العربية في ١٩٦٧ وفي عام ١٩٧٢ قامت بطرد ١٧ ألف فلسطيني من وطنهم بحجج وذرائع واهية ولا معنى لها أو زائفة وفي بعض الأحيان بدون أسباب على الإطلاق .

تم طرد وترحيل أعداد كبيرة من الأطباء والمحامين والزعماء من رجال الدين والمعلمين والكتاب والشعراء بدون أي تهم أو محاكمة « هذا لأن الصهاينة أرادوا حرمان الشعب الفلسطيني من أي قيادة » هذا ما يقوله الشكعة مضيفًا : كما قلت

من قبل أنهم يحكمون علينا من خلال مفاهيمهم ويرفضون أن يصدقوا أن الشعب الفلسطيني يرفض أن تفرض عليه ما يفعله . ولكن يفعل ما يؤمن به وفقًا لإرادته الحرة وقناعاته الذاتية .

الشعراء والكتاب الذين اتهموا بجريمة الكتابة عن العرب أو الفلسطينيين أو في القضاياالقومية تعرضوا للقتل أو في بعض الحيان كانوا يسجنون بدون أي اتهام أو يبقون في منازلهم رهن الاعتقال الجبري .

أما هؤلاء الذين كان يعيشون في المنافي فكانوا أيضًا يغتالون ويقتلون وهناك واحد من أهم الكتاب الفلسطينيين الموهوبين وهو الأديب غسان كنفاني الذي قتل بتفجير سيارته في بيروت عام ١٩٧٢ .

ولم يخطر في ذهن بسام الشكعة مطلقًا أنه قد يتعرض للمعاملة بنفس الطريقة . واحد من قصص غسان كنفاني التي عندما نقرأها تنساب الدموع من عيوننا مثلما تنساب من عيون الشعب الفلسطيني . القصة بعنوان : أرض البرتقال الحزين .

« بالنسبة لأمك فقد نظرت إلى أشجار البرتقال في صمت وكل أشجار البرتقال التي تركها أبوك من خلفه لليهود الآن يجنون ثمارها .

كل ذلك قد ينعكس في عينيه وعلى وجهه بينما تنساب الدموع من عينيه وتسقط على خده وهو يواجه الضابط . حين وصلنا إلى سيدون أصبحنا بلا مأوى بلا منازل تم اعتقال وترحيل آلاف الفلسطينيين بدعوى أنهم ينتمون إلى (المنظمات الإرهابية) وقد صرح أعضاء في الكنسيت الإسرائيلي (البرلمان)الذين شاركوا في مذبحة دير ياسين وكفر قاسم أنه من الإساءة لأمن دولة إسرائيل أن تكون هناك تعاملات مع أعضاء ينتمون لمنظمات فلسطينية أو حتى مجرد التعبير عن وجهة النظر القائلة بأن إسرائيل ليست بأكملها دولة يهودية أو عبرية .

ولم يكـن الإسرائيليـون يقتنعُـون بـأن أغلبيـة السـكان الفلسـطينيين في الأراضي المحتلة يدعمون منظمة التحرير الفلسطينية P.L.O أو حتى أنها تحظى بمساندتهم وأنها تمثلهم . لقد كان من المستحيل أن تجبر الشعب الفلسطيني على أن يفكر بالطريقة التي أرادها لهم الصهاينة وبالتالي فقد زادت الضغوط عليهم .

ولقد حاول الإسرائيليون أن يجعلوا من الشعب الفلسطيني شعبًا من العملاء والخونة ولكن حين فشلت هذه الجهود تعرض الشعب الفلسطيني لوسائل العقاب الجماعي في مدن وقرى بأكملها ، مما أعاد إلى الذاكرة في كثير من الحالات أساليب القمع التي تعرض لها اليهود من النازية عام ١٩٣٠ .

رغم ذلك فقد ارتفعت أصوات اليهود بالاحتجاج عالية بسبب المعاملة السيئة التي تعرض لها اليهود الأوربيون ولكن هذه الأصوات لم ترتفع بالاحتجاج إزاء ما يتعرض له الفلسطينيون .

في ذلك الوقت كانت أحداث تلك الأيام مخيفة ـ كما يقول بسام الشكعة ـ الذي لم يكن يدرى حينذاك أن ما سوف تأتي به الأيام والأعوام القادمة .. هو الأسوأ .

لقد كان يتم فرض حظر التجوال لعدة أيام وفي بعض الأحيان لعدة أسابيع . كان الفلسطينيون محاصرين وكانوا في بعض الأحيان يجبرون على البقاء في العراء ويتعرضون طوال الليل لظروف الطبيعة القاسية .

ساد أسلوب التعذيب مع الأغلبية من الشعب الفلسطيني وخاصة هؤلاء الذين اتهموا وأدينوا في تهم أمنية وانتزعت اعترافاتهم بأساليب تعذيب وحشية .

وباستثناء ما أشارت إليه جريدة صنداي تايمز فقد تجاهلت الميديا الغربية كل ذلك ورغم هذا فقد تعرضت الصحافة الإسرائيلية لكثير من حالات التعذيب .

في إبريل سنة ١٩٧٨ نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت ـ على سبيل المثال ـ

تصريحات لضابط شرطة إسرائيلي أعلن فيها أن التحقيقات تستخدم فيها وسائل تعذيب مختلفة مثل الصدمات الكهربائية وغيرها وممكن أن تستمر في أي وقت وليس لها نهاية .

أدلى الضابط بهذا التصريح للصحفي أورلى ازولاي بكثير من الصراحة .ز وبكثير أيضًا من الاستعلاء .

مجموعات كبيرة من الفلسطينيين كانوا يتعرضون للضرب وكانوا غالبًا من تلاميذ المدارس بدون أي أسباب .

ملاك الأراضي كانوا يطردون من مزارعهم وأراضيهم بذريعة الأمن دون أن تدفع لهم أي تعويضات . وبعد ذلك تسلم الأرض للمستوطنين .

المحاصيل الزراعية للفلسطينيين ـ سواء داخل إسرائيل أو بالأراضي المحتلة ـ كانت ترش بالمبيدات السامة والمنازل كانت تدمر كعقاب لهم على اتجاهاتهم العدوانية رغم أنه لم توجه لهم أي تهم محددة .

في ٦ نوفمبر ١٩٧٥ على سبيل المثال نشرت جريدة التايمز أن السلطات الإسرائيلية قامت بنسف أربعة منازل مستخدمة في ذلك البلدوزورات والمواد المتفجرة في قرية تبعد عن بيت لحم مسافة ميلين ناحية الجنوب . وهذه المنازل تخص بعض الشباب الذين تم القبض عليهم لاستجوابهم بتهمة وضع عبوات ناسفة . ويذكر التقرير أنه لا أحد من هؤلاء الشباب وجهت إليه تهمة شرعية فالرجال الأربعة قاطنوا المنزل مجرد سكان ولم يكونوا ملاكا لها .

ويشرح التقرير أنه إلياس فريج عمدة بيت لحم معلق على الموقف بمرارة قائلاً : إن الإسرائيليين يطالبوننا بالتعايش معهم ولكنهم بعد ثماني سنوات من الاحتلال ما زالوا يقومون بنسف وتدمير منازل السكان العرب .

هناك عائلات بأكملها لديها أطفال ألقي بها في الشوارع حين دمرت مساكنهم وفي أغلب الحالات كانت هذه المنازل ملكًا للأقارب : خالات وعمات وأعمام وأبناء عم وأجداد .

في ١٩ سبتمبر ١٩٧٧ قامت السلطات الإسرائيلية العسكرية بتدمير منازل والد وعم هادر سلام (والتي لم يعيش فيها أبدًا) وقد عاد من الأرجنتين ليتزوج وحين حقق معه اعترف تحت ضغط التعذيب أنه التقى في الخارج بأحد أعضاء حركة فتح . وكانت هذه هي جريمته الوحيدة .



بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــعب
في مواجهــة
الاحـــتلال







كتب البروفيسور إسرائيل شاحاك مقالاً عام ١٩٧٣ . والبروفيسور الإسرائيلي يهودي تعرض للحبس في معسكرات الاعتقال النازي في طفولته [1] وهو حاليًا رئيس المنظمة الإسرائيلية للدفاع عن الحقوق المدنية . كما أنه يدافع عن حقوق الفلسطينيين في إسرائيل والأراضي المحتلة - كتب مقالاً للرد على هجوم عنيف ضده في الصحافة الإسرائيلية : في صحف معاريف - يديعوت آخرونوت - دافار - وجيروزاليم بوست - وعدد من الصحف الأخرى التي نشرت أكاذيب عديدة عنه دون أن يعطى الفرصة للدفاع عن نفسه وقد قبلت هاآرتس أن تنشر مقاله غير أنه بعد ٣ أسابيع أعلن رئيس التحرير جيرشوم شوكن أنه لن ينشر أي مقال يكتبه إسرائيل شاحاك .

وفي يناير ١٩٧٤ قبلت جريدة ميدل ايست انترناشيونال أن تنشر مقتطفات منه في ملحق لها .

يقول شاحاك : في رأيي أن الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية ليس فحسب نظامًا يتسم بعدم الليبرالية ولكنه نظام قمعي شديد القسوة والرجعية في العصر الحديث لا يمنح المواطنين أي حقوق للنضال من أجل مطالبهم . ولذا فمن حق الناس أن يختاروا وسائل أخرى للكفاح في سبيل حقوقهم .

ورغم أن البروفيسور إسرائيل شاحاك يدين بعض هذه الأساليب إلا أنه يتفهم الأسباب التي تدعو إليها . هذا في الوقت الذي تتجاهل فيه السلطات الإسرائيلية العوامل التي تدفع الفلسطينيين للنضال والتعبير عن إرادتهم .

كتب إسرائيل شاحاك - الذي يصفه الشكعة بالأمانة والشجاعة - في جريدة بي هاتون الجريدة الأسبوعية لطلاب جامعة الخليل بالقدس سنة ١٩٧٥ : في رأيي أن

(١) المقصود هو موعد نشر الكتاب سنة ١٩٨٠ « المترجم » .

إسرائيل دولة عنصرية تمامًا : وفي هذه الدولة يعاني الناس ذوو الأصول غير اليهودية من التمييز العنصري ضدهم في كل جوانب الحياة .

لقد كان يكتب عن إسرائيل ولكن في المناطق العربية المحتلة فإن الأوضاع أكثر سوءًا .

من المفهوم أن الفلسطينيين سوف يقاومون بكل الوسائل التي يملكونها ضد القسوة وضد الوحشية وأساليب الاحتلال غير الإنسانية التي يعانون منها . ولكن العالم الخارجي لا يتفهم صعوبة اختيار أساليب المقاومة الملائمة .

لدى بسام الشكعة معرفة شخصية بكثير من الحالات التي تصور المعاناة والمشكلات القائمة على سبيل المثال : حالة أحمد بكر حجازي (٢٨ عامًا) وهو فلسطيني كان يعيش في أحد معسكرات اللاجئين قرب نابلس وينتمي لمنظمة فتح .

حين دخل في يناير ١٩٦٥ مع وحدة فدائية إلى الأراضي المحتلة اصطدمت مع داورية إسرائيلية . وقع حجازي في الأسر بعد أن جرح في المعركة .

وأخفى الإسرائيليون الأمر كله لمدة ٤ شهور ثم حكم عليه بعقوبة الإعدام طبقًا لأربع تهم وجهت إليه : استخدام سلاح ناري ضد قوات الدفاع ، التسلل ـ حمل متفجرات ، التخريب .

ورغم أن الأسير يعد جنديًا طبقًا لمعاهدة جنيف رفض الإسرائيليون تخصيص محامي أجنبي للدفاع عنه . وبعد مداولات تحول الحكم إلى السجن ٣١ عامًا .

هذا الحكم مخالفة صارخة لمعاهدة جنيف لأن المنطقة التي تم أسر حجازي فيها هي منطقة واقعة تحت الاحتلال الإسرائيلي غير الشرعي حيث أنها تعد ضمن أراضي التقسيم العربية طبقًا لقرارات الأمم المتحدة .

وهذه القرارات التي لم تعترف بها إسرائيل للجانب العربي تتخذها في نفس

الوقت ذريعة تبرر بها أعمالها العدوانية في فلسطين . ومع ذلك ما تزال تهزأ أو تسخر من العديد من هذه القرارات التي تصدر عن الأمم المتحدة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية .

من الواضح أن محاولة أي فلسطيني الالتحاق بالفصائل المسلحة للقتال ضد قوات الاحتلال الصهيوني تعتبر غير شرعية . وبالتالي في حالة الوقوع في الأسر لا يعامل طبقًا لقواعد القانون الدولي .

لهذا السبب فإن بعض الفصائل الفلسطينية اختارت أن تقوم بعمليات اختطاف للطائرات وأيًّا كان ما يحققون فإن هذه العمليات قد وضعت قضية الكفاح الفلسطيني موضع الاهتمام الدولي .

رغم ذلك فإن الصحافة العالمية التي فشلت في إدانة سرقة وطن بأكمله ووضع سكانه الطبيعيين تحت قيود الاحتلال فإن هذه الصحافة احتجت ضد هذه العمليات وبالتالي فإن هذا الموقف يجعل الفلسطينيين في وضع أكثر صعوبة حيث يساء تفسير عمليات الاختطاف .

لقد كان موقفًا يتسم بالنفاق ذلك الموقف الذي ترتب على مجموعة من الأحداث ، مما جعل بسام الشكعة شخصية مرموقة على المستوى الدولي .

هذه الأحداث بدأت في شهر سبتمبر عام ١٩٧٢ عندما قام ثمانية من الفلسطينين المسلحين بالكلاشينكوف والمسدسات والقنابل اليدوية ودخلوا إلى الجناح الإسرائيلي في دوره الألعاب الأولبية في ميونخ .

وفي العملية المسلحة التي قام بها الفلسطينيون قتل إثنان من الإسرائيليين وهما جوزيف رومانو وحارسه الأمني مدشيه ويمبرج وقاموا بأسر تسع أعضاء من الوفد الإسرائيلي رغم أن الصحافة العالمية وصفتهم أنهم رياضيون إلا أنهم كانوا

من رجال لأمن .

طالب الفلسطينيون بإطلاق سراح مائتي معتقل فلسطيني في سجون إسرائيل وممرًا آمنا في ألمانيا . تم أخذ الرهائن وخاطفيهم إلى مطار عسكري حتى يبدو الأمر كان إسرائيل مستعدة للتعامل مع الموقف .

والشيء الذي لم يدركه العالم - مع الزمن ولا يزال لا يدركه حتى الآن هو أن إسرائيل ليست مهتمة بالخسائر في الأرواح وبسبب الإصرار الإسرائيلي قام جنود من الوحدات الخاصة والقناصة الألمان بمهاجمة الخاطفين .

وكنتيجة للهجوم الذي تم بالقنابل اليدوية وطلقات الرصاص .. قتل الرهائن جميعًا وجرح بعضهم لكنهم ماتوا بسبب الاختناق الذي نجم عن الدخان أثناء العملية .

قامت الصحافة الإسرائيلية والعالمية بتصوير الأمر كأنه مذبحة قتل بدم بارد . وبالطبع أدينت العملية في نفس الوقت الذي لم يسمع فيه أي صوت احتجاج ضد عمليات القتل التي كانت تقوم بها وحدات من الجيش الإسرائيلي ضد الأبرياء من الفلسطينيين واللبنانيين رجالاً ونساء وأطفالاً في عمليات القصف الجماعية على جنوب لبنان .

جرت محاولات أخرى قامت بها المقاومة الفلسطينية باحتجاز رهائن لمبادلتهم مع أسرى فلسطينيين في السجون الإسرائيلية وفي واحدة من هذه المحاولات طالبت المقاومة بإطلاق سراح ٢٦ سجين فلسطيني (كان هذا بمناسبة مرور ٢٦ عامًا على قيام دولة إسرائيل) . يعني بمعدل أسير عن كل سنة من سنوات الاحتلال . وبين المسجونين المطلوب إطلاق سراحهم كان هناك اثنان من اليهود الإسرائيليين الذين اتهموا بالعمل مع المقاومة الفلسطينية . والرهائن الذين تم أسرهم في مدينة معلوت ذكرت الصحافة العالمية أنهم من أطفال المدارس بينما كانت الحقيقة أنهم من

طلاب المدارس العسكرية .

وادعى الإسرائيليون أنهم قبلوا بشروط المقاومة . ولكن كما كتب ديفيد هيرست مراسل صحيفة الجارديان البريطانية في منطقة الشرق الأوسط في كتابه البندقية وغصن الزيتون : أن هذا الموقف المعلن كان لمجرد التأثير في الرأي العام وقالت الصحافة الإسرائيلية ، من الواضح أن الحكومة الإسرائيلية قررت اقتحام المدرسة .

وباختصار قبل انتهاء الليل تمت عملية الاقتحام وقتل عشرون من الرهائن أثناء الهجوم وما قيل بالطبع أنها مذبحة نجمت عن العمل الإرهابي الذي نسب إلى الفلسطينيين .

في مارس سنة ١٩٧٨ استطاعت مجموعة من رجال المقاومة الوصول إلى إسرائيل . وفي الطريق المؤدي إلى تل أبيب قامت باختطاف أتوبيس به إسرائيليين .

وشنت وحدات من الجيش هجومًا على الخاطفين فقتل ٣٤ من الرهائن . وكما ذكرت صحيفة التايمز : لقد شنت إسرائيل هجومًا انتقاميًا على لبنان قتل فيه ألف لبناني طبقًا لرواية دبلوماسيين غربيين وشرد قرابة مائة ألف أصبحوا بلا مأوى .

وبمرور الوقت تبين أن قتل الرهائن الذي نجم عن الهجوم الإسرائيلي كان شيئًا مبهجًا لدى الصحافة الغربية . وبالتالي ظلت تردد مرارًا وتكرارًا أن مذبحة قتل الرهائن قام بها الفلسطينيون .

وفي وقت لاحق حاول بسام الشكعة أن يضع هذه الأحداث في إطارها الصحيح .. مما قاد إلى أحداث أخرى جديدة متتالية .



بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــعب
في مواجهـــة
الاحــــتلال







أصبح بسام الشكعة رئيسًا لبلدية مدينة نابلس عام ١٩٧٦ وفي عام ١٩٧٧ حدثت واقعتان مثلتا ضغطًا نفسيًا على الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية أكثر من أي وقت آخر مضى ، فقد صعد الجناح اليميني المتشدد إلى السلطة في إسرائيل عندما أصبح مناحم بيجن زعيم حزب الليكود رئيسًا للوزراء في تحالف مع حزب جيروت .

كان بيجن قائدًا لجماعة صهيونية إرهابية مسئولة عن حالات قتل واختطاف أعداد لا حصر لها من الفلسطينيين في الأربعينات بالإضافة إلى أنه كان مسئولاً عن مذبحة دير ياسين وكذا كان مسئولاً عن عملية نسف فندق الملك داود في القدس . وكان كثيرًا ما يتحدث عن قادة منظمة التحرير الفلسطينية كعصابة للقتلة مقارنًا بينهم وبين النازيين – كما رفض بيجن بعد زيارة السادات رئيس مصر إلى القدس عام ١٩٧٧ – رفض تمامًا مشاركة الفلسطينيين فيما سمي مباحثات السلام التي جرت مع مصر بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية . وقد رفض الفلسطينيون (وهذا أمر طبيعي) سلطة الحكم الذاتي التي اقترحها بيجن .

ليس فقط لأنهم لم يأخذوا رأيهم فيها لكن لأنها كانت تعني بالنسبة لهم نوعًا من الحكم الذاتي أقل مما كان يتمتع به اليهود في بولندا الوطن الذي فيه ولد وعاش مناحم بيجن قبل أن يأتي إلى فلسطين .

الحكم الذاتي كان يعني سلطة على الناس لا على الأرض . لهذا فقد كان من المتوقع من الفلسطينيين أن يظلوا تحت الحكم العسكري الإسرائيلي . كممثلين للشعب الفلسطيني . ظل عمد مدن الضفة الغربية يعانون من تعنت السلطات الإسرائيلية . يقول الشكعة : أنهم من جانبهم يؤكدون للعالم كم هي رائعة الديمقراطية التي منحوها لنا ومن ناحية أخرى يحاولون بكل طريقة ممكنة أن

يسكتوا أصواتنا ويقيدوا حرياتنا نحن الذين تم انتخابنا بواسطة شعبنا .

لم يفعلوا ذلك ؟

لأن رؤساء البلديات يضعون في المقدمة مصالح ناخبيهم من أفراد الشعب لا مساندة الأهداف الصهيونية .

ويعطي مثالاً للموقف الصهيوني الغريب والمتعنت حين يصف كيف تم معاقبة عدد من قيادات صحفيين الشعب والفجر الذين حددت إقامتهم وصاروا لا يقدرون على الحركة خارج مدنهم بسبب اتهامهم بالقيام بأعمال مضادة للاحتلال ما هي جريمتهم؟ لقد فشلوا في التوافق مع قوانين الرقابة على النشر . هكذا تقول السلطات العسكرية . وكانوا مدانين بنشر مواد ليست ممنوعة ولكنها معادية لإسرائيل .

ويقول الشكعة : بعبارة أخرى أنهم يريدون منا أن نكون صهيونيين أكثر من الصهاينة أنفسهم .

في أول يونيو ١٩٨٠ منعت الحكومة الإسرائيلية جريدتي الشعب والفجر من التوزيع في الضفة الغربية وغزة بتهمة تحريض السكان ضد الاحتلال كما زعمت السلطات الصهيونية وفي بيان مشترك لرئيس تحرير الجريدتين أعلنا أن الصحيفتين تعرضتا لمع التوزيع لأنهما ضد الحكم الذاتي ، لكن أصواتنا مطالبين بقيام دولة فلسطينية حرة ومستقلة تقودها منظمة التحرير الفلسطينية .

لقد كان يبدو قبل تطبيق خطة الحكم الذاتي التي تتسم بالسخف والغباء أن الأحوال في الضفة الغربية لم يكن من الممكن أن تتدهور أكثر مما هي عليه ولكن حالة اليأس وفقدان الأمل التي يعيشها الفلسطينيون تحت الاحتلال البربري الإسرائيلي تزايدت حدتها .

....

تعد نابلس أكبر مدينة في الضفة الغربية . يقول بسام الشكعة أن تعدادها يبلغ ١٠٥ ألف نسمة ولكن الصهاينة يدعون أنه يسكنها فقط ٥٧ ألف نسمة . ولكن هذا لا يدعو للدهشة لأن السلطات الإسرائيلية تعمل بشكل أو بآخر على أن تخفض من أعداد السكان الفلسطينيين وفي نفس الوقت تضاعف من أعداد سكان المستوطنات من اليهود في الضفة الغربية بينما الكثيرون منهم لديهم مساكنهم في تل أبيب أو القدس ولهم مساكن إضافية في الضفة وهذا يهدف إلى زيادة الوجود اليهودي هناك . تعد نابلس أيضًا من وجهة النظر الإسرائيلية أكثر المدن العربية راديكالية .

وإذا ما تتبعنا حالة الاحتجاج والرفض التي حدثت كنتيجة لبناء المستوطنات اليهودية في أراضي الضفة المحتلة من أهالي نابلس .

يقول بسام الشكعة: هذه أرضنا ولن نسمح للاستيطان الإسرائيلي أن يحرمنا منها . بعدما قام السكان الفلسطينيون بمظاهرة سلمية في ١٧ يونيو عام ١٩٧٩ أعلن رئيس بلدية نابلس : نحن استخدمنا الوسائل الديمقراطية للتعبير والمطالبة بحقوقنا بينما المحتلون قد برهنوا أن وسائلهم ليست ديمقراطية . إن شعبنا لن يسكت حين يرى أرضه وحقوقه تهدر .

اعتاد بسام الشكعة في عمله اليومي أن يصل إلى مكتبه الساعة السابعة والنصف صباحًا . وأن يعمل حتى الواحدة والنصف ظهرًا . وفي فترة ما بعد الظهر كان يعقد جلسات ولقاءات مع أعضاء بلدية نابلس . وفي المساء كان سكان نابلس من المواطنين يتوافدون إلى منزله . يطلبون المساعدة إزاء المشكلات التي تنجم من الاحتلال الإسرائيلي .

تزايد الغضب والاستياء الفلسطيني من معاهدة كامب ديفيد وكذا مقترحات الحكم الذاتي مما ترتب عليه تزايد تيار المقاومة ومما أدى أيضًا إلى مزيدًا من المواجهات حيث تعرضت الكثير من منازل الفلسطينيين في الضفة للنسف أو التدمير . وكما جرى في الماضي فإن الصحافة الغربية عجزت عن تقديم الحقائق المروعة .

في بداية عام ١٩٧٩ تم نسف منزل عائلة نهاري في منطقة وادي الجوز بالقدس . هذا لأن نصير أفندي أمضى ليلة بالمنزل (الذي هو فيلا كبيرة) وعندما قبض عليه تم القبض على نهاري وزوجته وكذا والده البالغ من العمر سبعين عامًا . وسجنوا وفي نفس الوقت كان هناك منزل مؤجر من عائلة أكاري للسيد : رفيق الخطيب على جبل الزيتون فسدّت الأبواب والشبابيك بالخرسانة وتم نسف المنزل . هذا في الوقت الذي أزيلت فيه ثلاثة منازل في نابلس . واحد من هذه المنازل كان يملكها عيسى شكشير الذي سجن لمدة عشرين عامًا بتهمة حيازة متفجرات وألقى بزوجته البالغة من العمر ١٩ عامًا ألقى بها وأطفالها الصغار إلى الشارع حيث أصبحوا في العراء من الجوانب السيئة في هذه العقوبات البربرية أن ملاك المنازل لا يمنحون الفرصة كي يجدوا لهم مأوى آخر أو ليبدو أي معارضة تجاه هذه الأحكام التي كانت تطبق عليهم في الحال .

كمثال لهذه الحالات .. تم نسف فندق في رام الله لمجرد الشك في أن مشتبهًا به من الفلسطينيين أقام في هذا الفندق .

الكثيرون من الفلسطينيين الذين دمرت منازلهم يقيمون في أكواخ أقاموها على أنقاض منازلهم . والعديد منهم ليس لهم أقارب يقيمون معهم فأرغموا على أن يبقوا في العراء حتى في فصل الشتاء .

ينبغي التأكيد على أنه في معظم هذه الحالات للفلسطينيين الذين قبض عليهم

بتهم أمنية يجري القبض والاعتقال بعد إجبارهم على الاعتراف بصحة التهم المنسوبة إليهم .

نشرت ذلك الصحافة الإسرائيلية بعد وقوع حالات عديدة من الاعتقالات للفلسطينيين الذين عبروا عن ردود أفعالهم تجاه سلطة الحكم الذاتي .

الحالة التي نرويها تتعلق بشرطية إسرائيلية فقدت بعض الوثائق الخاصة بها . وحتى تخفي الواقعة اخترعت قصة عن سرقة حقيبة اليد التي كانت بها هذه الوثائق .

قالت الشرطية في محضر تحقيق معها أنها تعرفت إلى شاب فلسطيني وقالت أنه هو اللص الذي اختطف حقيبة اليد الخاصة بها . وبعد القبض عليه وتعرضه للتعذيب لمدة يومين اعترف بالجريمة وحين أحست الشرطية بالندم اعترفت أنها كانت كاذبة .

لا توجد عائلات فلسطينية في الضفة الغربية لم تواجه المتاعب الجمة على أيدي الإسرائيليين .

يقول الشكعة : كل إنسان مقيم في الضفة لديه أقارب أو أصدقاء سجنوا أو تعرضوا للتعذيب أو طردوا أو تعرضوا للضرب أو دمرت مساكنهم أو صودرت أراضيهم أو سممت محاصيلهم .

الغضب الإسرائيلي تجاه رفض الفلسطينيين لسلطة الحكم الذاتي يتخذ أشكالاً عديدة . السلطات العسكرية تبدأ بإلقاء القبض على الفلسطينيين لأسباب تافهة مثل عدم حمل بطاقات الهوية .

كثير من الفلسطينيين اعتقلوا لمجرد أنهم قالوا أن فلسطين وطنهم . هناك واقعة لطالب فلسطيني كان عائدًا من القدس الشرقية بعد زيارة صديق له هناك حوالي الساعة الحادية عشر مساءً . وحين مر بجوار مكتب البريد بشارع الرشيد أوقفه

اثنان من رجال الشرطة العسكرية وسألاه : ماذا كان يفعل هناك فأجاب بأن له الحق أن يذهب إلى حيث يشاء . هذا وطني . فقال له واحد من الشرطة : هذا ليس وطنك . إنه وطننا نحن . فقال الطالب الفلسطيني : يبدو لي من الطريقة التي تتكلم بها أنك قادم من المغرب . هذا ليس وطنك . بل وطننا نحن .

في الحال تم القبض عليه ، وأرسل للسجن لمدة ستة أشهر . وفي نهاية الشهور الستة تم إخباره أنه سيطلق سراحه إذا ما أخبرهم بأنشطة صديقه .

في غضب أعلن رفض أن يصبح عميلاً فزج به في السجن لمدة ستة أشهر أخرى وحين أطلق سراحه بعد ذلك حين انتهت مدة السجن أخبر أنه لو تعرض لهذا الموقف مرة أخرى سوف يقدم إلى المحاكمة التي قد تحكم عليه بالسجن مدى الحياة .



بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــعب
في مواجهــة
الاحـــتلال







لقد عانى محمد قطماش الذي أمضى بالسجن ثمانية أعوام عام ١٩٧٥ لمجرد أنه تلقى تدريبًا عسكريًا في الاتحاد السوفيتي (عانى من المرض في الأعوام التالية بسبب التعذيب وسوء المعاملة في فترة السجن) . وكان بعض رفاقه من السجناء السياسيين – في سجن بنابلس – كان بعضهم من الأطباء الذين طلبوا أن يتلقى محمد قطماش عناية طبية وإلا سوف يصبح مهددًا بفقدانه البصر .

هناك حالة أخرى مماثلة وهي التي اهتم بها بسام الشكعة . وهي حالة نادر الفوري . وهي الحالة التي علقت عليها صحيفة آل همشمار في ٢٨ فبراير ١٩٨٠ في مقال كتبه د. آمنون كابلوك وهو الكاتب الذي وصفه بسام الشكعة بأنه رجل شجاع وصديق لنا .

هو واحد من الصحفيين الإسرائيليين القلائل الذين يكتبون الحقيقة عن معاناة الشعب الفلسطيني .

بعد أن عانى من فترة تعذيب متصلة في سجن نابلس يعد محمد الفوري الذي يبلغ من العمر ٢٨ عامًا حالة يرثى لها . كتب د. كابلوك : لقد عومل بإهمال ووضع تحت حالة السجن الشديدة القسوة بينما كان مريضًا لمدة عام ونصف تقريبًا .

لقد أدى ذلك إلى تدهور صحته وإدراكه تمامًا بحيث لم يستطع التعرف على ابنه الذي ولد وهو في السجن . ولا يستطيع الحديث ولا المشي ولا أن يطعم نفسه . الفوري تم كتابة تقرير عنه قبل إلقاء القبض عليه عام ١٩٧٨ (وقبض عليه في مرة سابقة عام ١٩٧٥) وسجن لمدة ثلاث سنوات بتهمة القيام بأنشطة عدائية (مثل رفع العلم الفلسطيني) يعد نشاطًا عدائيًا .

بعد قضاء فترة السجن أعيد الفوري إلى بيته في نابلس . وأحست زوجته وأصدقاؤه أنه كان بحالة صحية طبيعية ولم يبدو عليه أي شيء يدل على فقدان

الإدراك . وبعد مرور عدة أشهر في ٣٠ أغسطس ١٩٧٨ تم القبض عليه مرة أخرى بتهمة القيام بأنشطة عدائية حيث قيل أنه حاول ضم ثلاثة من الشبان إلى إحدى المنظمات الفلسطينية .

وبعد عدة أعوام تم عرضه على أحد القضاة العسكريين الذي أمر باعتقاله لمدة ستين يومًا . في ذلك الوقت بدأ الشك بأن هناك ثمة شيء خطأ حيث ظهرت آثار التعذيب عليه خلال فترة الاعتقال وقبل المحاكمة على عدة أجزاء من جسمه في نهاية الستين يومًا .

بدلاً من أن يطلق سراحه أو يقدم إلى المحاكمة قدم الفوري إلى القاضي العسكري في ٩ نوفمبر ١٩٧٨ . واستجاب القاضي لطلب السلطات الأمنية ومد فترة اعتقاله سبعة أيام في نهايتها صدر قرار بمد الاعتقال لمدة ستة أشهر أخرى .

في التاسع من أكتوبر ١٩٧٨ أثناء فترة اعتقال الفوري رهن التحقيق قامت زوجته بالاتصال بالمحامية فاليسيا لانجر وأخبرتها أنها حين سمح لها بزيارة زوجها بعد شهرين من اعتقاله وجدته في حالة سيئة إذ أنه لم يستطع التعرف عليها وكان يستطيع التحرك وبصعوبة كما أن نظرات عينيه زائغة ويبدو كأنه فقد عقله .

السيدة زوجة الفوري التي كانت حاملاً في ذلك الوقت عانت من شدة الصدمة . وتذكر أنه حين قبض على زوجها كان بصحة طيبة ولم يكن يعاني من أي شيء .

وعندما سمعت المحامية فاليسيا لانجر القصة تذكرت أنها خلال إحدى زياراتها للسجن أخبرها بعض موكليها أن هناك سجينًا اسمه نادر الفوري فاقد الوعي تمامًا .

في اليوم التالي كتبت السيدة لانجر رسالة إلى قائد السجن تطلب منه تصريحًا بالزيارة حيث أن عائلة الفوري طلبت منها الدفاع عنه .

تلقت إجابة مفادها أنه يمكنها أن تقوم بزيارة المحتجز يوم ١٢ نوفمبر ١٩٧٨ .

وفي اليوم المحدد ذهبت إلى السجن وطلبت لقاء الفوري الذي أحضر إليها بمساعدة اثنين من رفاقه المساجين الذين كانوا يساعدونه على الحركة لأنه لم يكن يستطيع السير على قدميه .

لم يستطع التعرف إليها رغم أنها كانت موكلته وتدافع عنه عام ١٩٧٥ . حاولت أن تجعله يتحدث إليها . لكنه لم يستطع ولم يتفوه بكلمة واحدة فأخبرها بعض المساجين أنه غير قادر على الكلام أو القيام بأي عمل حيث أن زملاءه كانوا يطعمونه ويساعدونه على ارتداء ملابسه والقيام بنظافته .

قالوا أنه قد فقد الاتصال بالعالم وأنه يعيش في عالم آخر . كان غير قادر على الإجابة ولكنه أرغم على التوقيع على ورقة توكيل للمحامي ببصمة يده .

كتب آمنون كابلوك : كان قرار طلب السلطات تمديد فترة الاعتقال لنادر الفوري أمرًا مثيرًا للدهشة . فهذه الخطوة تعتبر إجراء تتخذه السلطات ضد الأشخاص المتهمين بأنشطة إرهابية ولا يوجد دليل ظاهر ضدهم لتقديمهم للمحاكمة .

ويعلق البروفسير إسرائيل شاحاك بأن الأمر ليس فيه ما يدعو للدهشة لأن القرار يتخذ عادة ضد الأشخاص الذين لم يتم بعد تدمير قوى المقاومة لديهم من خلال السجن أو التعذيب لإجبارهم على الاعتراف .

ويكتب د. كابلوك : كما يبدو لم يكن هناك أي مبرر لاعتقال الفوري واحتجازه لأنه لم يكن معروفًا كقائد أو زعيم هذا بالإضافة إلى أنه تم خفض أعداد المحتجزين رهن التحقيقات بسبب الانتقادات التي وجهتها الصحافة والرأي العام الإسرائيلي ضد هذا الإجراء (عام ١٩٧٤ كان هناك عدة مئات منهم) .

ومضى آمنون كابلوك يتساءل عما جرى لنادر الفوري .. كتب يقول :

كان هناك ثمة ثلاث احتمالات أولها : أن المعتقل كان يجري تعذيبه وهو في فترة الاعتقال لإرغامه على الاعتراف أو تقديم معلومات حتى يفقد عقله .

والاحتمال الثاني : هو أن المعتقل لا يعذب ولكن يعاني من صدمة عصبية نفسية بسبب اعتقاله وخوفًا من المحاكمة . وبهذا فإن الاعتقال الإداري (الذي يوضع فيه السجين رهن التحقيق) يعد الإجراء الأمثل – في حالة مثل حالة الفوري – حتى يستعيد صحته ويقدم للمحاكمة .

والاحتمال الثالث : هو أن نادر الفوري كان يدعي فقدان الوعي والإدراك .

والحل الأمثل في هذه الحالة هو استمرار احتجازه حتى يتم توقفه عن الادعاء بالمرض وفقدان الوعي وتوجيه التهمة إليه .

في البداية يضيف د. كابلوك : أن السلطات الإسرائيلية أصرت على أن الاحتمال الأخير هو الأصح . قالوا : الفوري ممثل وينبغي أن يظل تحت الاحتجاز والاعتقال حتى يتوقف عن خداعنا .

وذكرت السيدة فاليسيا لانجر أنهم قرروا أن يكتشفوا إذا ما كان الفوري يخدعهم أم لا وذلك بحرق أعقاب السجائر على وجهه أثناء زيارتها لسجنه شاهدت السيدة لانجر الفوري وقد نقل إليها من سجن رام الله وقد ظهرت على جبهته آثار حرق السجائر . قال لها السجناء أن حراس السجن اعتادوا استخدام هذا الأسلوب لاكتشاف ما إذا كان الفوري يتصنع المرض .

تم إرسال خطاب احتجاج إلى إدارة السجن في ٢٣ ديسمبر ١٩٧٩ تتضمن شكوى من هذا الأسلوب في التعامل ولكن لم يصل أي رد من إدارة السجن .

وبعد فترة قصيرة تم استبعاد احتمال تصنع المرض . وكما يقول د. كابلوك أن الاحتمالين الآخرين يظلان هما الأرجح .

وحتى يجعل د. كابلوك الأمور أكثر سهولة بالنسبة لنشر مقاله قال أنه مستعد لقبول مزاعم السلطة العسكرية الإسرائيلية من أن نادر الفوري لم يتعرض لأي تعذيب . ثم يمضي قائلاً أنه مستعد لقبول الاحتمال الثاني وهو أن المسجون قد ظل في سجنه ثلاث سنوات بدون إيذاء بدني لكنه تعرض لصدمة عصبية بسبب قسوة الظروف داخل السجون بالنسبة للفلسطينيين مما يؤدي إلى تدهور أحوالهم البدنية والعقلية والنفسية .

ورغم أي شيء يستطرد كابلوك : إذا كان من الممكن قبول مزاعم السلطات العسكرية الإسرائيلية فكيف يمكن فهم الحالات المتدنية والمتدهورة في مثل هذه الحالة التي وصلت إلى حد فقدان المسجون لوعيه تمامًا ولأي إدراك للعالم الخارجي .. وانتابه العجز بحيث أنه لا يتحرك إلا باستخدام كرسي متحرك في تنقلاته .

طالب رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة والمحامية السيدة : فاليسيا لانجر من شخصيات دولية ومؤسسات حقوقية ، كما يقول د. كابلوك سلطات السجن بوضع حد لمعاناة نادر الفوري بأعطائه العلاج المناسب أو إطلاق سراحه . لكن مر عام كامل قبل أن يفرج عنه .

في ١٤ نوفمبر ١٩٧٩ طالبت السيدة لانجر ضرورة توقيع الفحص الطبي على المسجون نادر الفوري وفي نفس الوقت طالب السيد بسام الشكعة الحاكم العسكري للضفة الغربية إطلاق سراح نادر الفوري بسبب سوء حالته الصحية .

في ٦ ديسمبر أرسلت منظمة العفو الدولية نداء عاجلاً من لندن حثت فيه شعوب العالم التضامن مع نادر الفوري ومطالبة السلطات الإسرائيلية بإرساله إلى المستشفى لتلقي العلاج .

وطالبت السيدة لانجر سلطات السجن السماح للدكتور ليو ابتنجر الأستاذ

بجامعة أوسلو الذي كان يزور جامعة حيفا ، طالبت أن يقوم بإجراء الفحص الطبي على السجين نادر الفوري ووضع تقرير عن حالته . لكن السلطات الإسرائيلية رفضت كل هذه المطالب والنداءات التي وصلتها من شخصيات عديدة .

في ذات الوقت ظلت حالة الفوري تزداد سوءًا . ومع انتهاء فترة الستة أشهر الخاصة بالاعتقال تم تمديد فترة اعتقاله ستة أشهر أخرى .

وفي إطار اللقاءات المهمة المصيرية التقى بسام الشكعة بالجنرال داني مات المسئول عن المناطق المحتلة وطالبه بالتدخل ووعده بذلك . لكن لم يفعل شيئًا .

في ٢١ ديسمبر زارت مسز لانجر سجن رام الله حيث أحضر لها نادر الفوري على كرسي متحرك .

كانت شفتاه ترتعشان . الوجه كان شاحبًا إلى حد الموت ، لم يستطع التعرف إلى من حوله .

أحست المحامية لانجر بمدى الخطورة على حالته الصحية المتدهورة وكتبت تقريرًا بذلك إلى المستشار القانوني للحاكم العسكري للضفة الغربية وهددت بتوجيه نداء إلى المحكمة العليا تطالب فيه بالإفراج عن المعتقل وذكرت أنها قد حاولت بشتى الوسائل دون جدوى .

وفي خطابها ذكرت المحامية لانجر عبارة غير عادية حيث قالت : إنه إذا كان حتمًا أن يتم إطلاق سراحه في ظل ظروف خاصة (بمعنى أن تلتزم أسرته بكتابة تعهد بعدم ارتباطه بأي أنشطة إرهابية) فإن عائلة الفوري مستعدة لمناقشة ذلك .

يقول كابلوك : إن المسجونين الفلسطينيين يرفضون اتخاذ مثل هذا الإجراء ولكن . في مثل هذه الحالة فإن الاعتبار الأول كان هو إنقاذ حياة نادر الفوري . إضافة إلى أن حالته لم تكن تسمح بقيامه بأي أنشطة أخرى .

في مواجهة هذا التهديد اتخذت السلطات العسكرية الإسرائيلية قرارًا بنقل الفوري إلى مستشفى داهتشا للأمراض العقلية في فبراير ١٩٨٠ .

ويضيف د. كابلوك : ليست قضية التعذيب التي تعرض لها الفوري هي الشيء الوحيد الذي واجهناه أثناء جولاتنا في الضفة الغربية حيث أنها تعد قضية خطيرة ومعقدة وينبغي معالجتها بشكل منفصل .

ويكتب كابلوك قائلاً :

أثناء تجوالنا في الضفة الغربية واجهنا حكايات تعذيب مرعبة . ولم يكن بإمكاننا أن نتعامل معها بالتكذيب الكامل كما تفعل وزارة العدل الإسرائيلية وكذا وزارة الداخلية .

في حالة نادر الفوري – يمضي كابلوك قائلاً : ليس التعذيب فحسب هو القضية الرئيسية .. فالمرء إذا ما ترك هذا الموضوع مفتوحًا وحتى لو قبلنا وجهة النظر الإسرائيلية التي تنكر التعذيب فإن هناك مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالمعايير غير الإنسانية التي يلقاها المسجون الذي يفقد عقله ويتمم د. كابلوك مقاله : إن الصحافة العربية تذكر المزيد عن حالات التدهور في صحة المسجونين العرب في السجون الإسرائيلية بسبب الإضراب عن الطعام . الضرب . احتجاج عائلاتهم والمعاملة السيئة في برد الشتاء .. إلخ .

وفي ٣٠ مايو ١٩٨٠ يكتب د. كابلوك مقالاً عن النفحا في قلب الصحراء الذي تم تحويله إلى سجن رئيسي يضم المسجونين الذين يشتبه في أنهم قيادات سياسية . ويقول كابلوك في مقاله : يتمتع السجناء اليهود في إسرائيل بالطعام الجيد وكذا بوجود الصحف وجهاز راديو . هذه الحقوق غير متوفرة للسجناء الفلسطينيين الذين يحرمون أيضًا من ارتداء البيجاما أو استخدام ملابس داخلية جديدة .

وفي بعض السجون لا يتوفر من الدواء سوى قرص الإسبرين الذي يعطي لكل الأمراض . لا يوجد ورق تواليت ولا يوجد ملابس داخلية للمسجونين حتى لو قامت العائلات بإحضارها لمسجونيهم .

بعد القيام بزيارة سجن النفحا المحاط بأسوار عالية وأسلاك شائكة وتوجد حوله كلاب حراسة شرسة تنبح طوال الليل قام المحاميان وليد الفاهوم وليتشي تسمل بعقد مؤتمر صحفي لإعلان ما شاهدوه داخل السجن .

زنزانة السجن ثلاثة أمتار × ستة أمتار ذات سقف منخفض ونوافذ ضيقة . توضع بها عشرة حشايا (مراتب) على الأرض بكل زنزانة حيث ينام عليها المسجونين الذين يقضون ٢٣ ساعة من اليوم داخل الزنزانة .

(ليس لدى بوصتين أتمتع فيها بشيء من الخصوصية . هذا ما يقوله عبد العزيز علي شاهين الذي أمضى الاثنين عشر عامًا الأخيرة داخل سجون مختلفة بإسرائيل ويعترف نائب مدير سجن النفحا : الزحام هنا مروع الطعام ردئ . يتلقاه المسجنون ويأكلونه على الأرض . وكل أنواع الرياضة محرومون منها . ويخصص لهم نصف ساعة فقط للمشي في فناء ضيق . يعاني عدد من المرضى بأمراض القلب . لا يوجد طبيب داخل السجن . بينما المنطقة التي يوجد بها السجن معرضة للرياح والعواصف المحملة بالأتربة والرمال مما يؤذي عيون السجناء . وكثيرًا ما يتناولون الطعام الملوث بالأتربة .

خلال الليل يشتد الصقيع . وبالنهار الجو خانق وحار داخل الزنازين حيث التهوية سيئة بسبب إغلاق النوافذ كنوع من العقاب للسجناء .

طبقًا لما ذكره المحامون الذين يدافعون عن سجناء «أي متهمون في قضايا أمنية» فإن زيارة أهالي السجناء تعد كابوسًا .

مرة كل شهر تتم الزيارة في رحلة يقوم بها الأهل ويسمح لهم بمشاهدة ذويهم (المسجونين) عبر الأسلاك الحاجزة مما يجعل كل شيء يبدو ضبابيًا . قال واحد من السجناء المعتقلين في سجن النفحا منذ عام ١٩٦٧ : ناضلنا من أجل تحسين أحوال السجن . أضربنا عن الطعام . تحملنا العقاب بأسلوب أقرب إلى الفداء . حرمونا من الزيارات . وتمسكنا بموقفنا حتى حصلنا على حقوقنا الأساسية . ولكن حاليًا حرمونا منها ثانية مما جعلنا نكافح مرة ثانية للحصول عليها .

يكتب آمنون كابلوك : إن المسجونين كانوا يطالبون بتوفير الأسرة لهم كي يناموا عليها بدلاً من النوم على مراتب توضع على أرضيات الزنازين وتمتلئ بالحشرات والزواحف .

يطاللبون أيضًا بإنهاء الزحام داخل الزنازين حيث تتسع الزنزانة الواحدة لأربعة أشخاص فقط ولكنهم يضعون بها عشرة . يطالبون بوجود حمامات ودورات مياه نظيفة وتسهيلات لممارسة الرياضة وإمدادهم بورق التواليت وأدوات الحلاقة والإمداد بالكتب والصحف ومرايا وملابس داخلية – يحضرها الأهل لهم – وحق سماع الراديو وشراء المستلزمات من كانتين السجن .

السجناء كانوا يعبرون عن إحساسهم بالمرارة من أحوال سجن النفحا . لكنهم يقولون : قد يسجنون أجسادنا لكنهم لا يستطيعون أن يهزموا أرواحنا . وفي ظل هذه الظروف «ليس لدينا ما نفقده» . عندما يقوم أقارب المسجونين – في سجن النفحا – بزيارتهم يمضون ساعات طويلة للوصول إلى السجن . ويفاجئون بأن وقت الزيارة قصير للغاية – مع أحبائهم – فيعودون مصدومين بسبب الظروف السيئة التي يعيش فيها السجناء .

أضرب ٢٦ سجينًا عن الطعام في سجن النفحا لمدة تسعة أيام مطالبين بتحسين

أحوالهم فتم نقلهم إلى سجن رام الله وعندما وصلوا أوقفوا في طابور وطبقًا لرواية خمسة منهم لمحاميتهم السيدة : ليتش تسمل التي سمح لها أن تراهم في حضور الحراس قالوا أنهم تعرضوا للضرب والصفع والركل . تم إحضارهم – وأقدامهم وأيديهم مقيدة بسلاسل حديدية . ولم يكن باستطاعتهم الكلام والتحدث بسبب حالتهم الصحية المتردية .

يقول يعقوب دوانا من نابلس أنه مسجون منذ ثلاثة عشر عامًا أنه جرى ركله بالقدمين في أعضائه التناسلية . ثم قال لمحاميه وهو يبكي : لا أبكي لأنني تعرضت للضرب . ولكن لإحساسي بالمهانة فقد قام أحد الحراس وقفز فوقي بعد أن طرحني أرضًا ثم وضع حذاءه في فمي .

مات اثنان من السجناء . وفي ٢٧ أغسطس ١٩٨٠ كتب يوسي هيمان في جريدة هاولام هازي (جريدة يطبعها وينشرها يوري أفنيري) عضو الكنيست : أن موت اثنين من العرب المضربين عن الطعام عقب محاولة إطعامهم بالقوة ما زال أمرًا غامضًا وقد كشفت التحاليل الطبية التي أجريت لهما أن سبب الوفاة هو وجود سائل في الرئتين . ولكن لم توضح سلطات السجن كيف حدث؟؟

مع ذلك فقد شاهد ما جرى لهذين السجينين أحد السجناء اليهود في قضية اختلاس بمستشفى سجن رام الله وقد شاهد إحضارهم للمستشفى كما كان شاهدًا على سوء المعاملة التي تعرضا لها بالسجن .

في الثامن من أغسطس أطلق سراح السجين اليهودي يوسف فرانكل ومن تلقاء نفسه ذهب إلى جريدة هالوم هازيه وقال أنه حين كان في سجن رام الله تم نقل ٢٦ سجينًا إليها من سجن نافحا . وذات يوم ذهب إلى المستشفى للعلاج فسمع صوت صراخ قادم من إحدى الحجرات . كان الباب مفتوحًا فذهب ليشاهد ما يجري

داخل الحجرة . وقف وراء الباب وظل يلاحظ ما يجري بالداخل .

في شهادته قال فرانكل أنه رأى ثلاثة من العرب الفلسطينيين مقيدي الأيدي والأرجل وحولهم ستة من الحراس الذين قاموا بوضع أنابيب داخل أفواهم . كان المسجونون يصرخون ولكنهم ظلوا يدفعون الأنابيب بداخلهم . قام بعض الحراس برش سائل داخل الفم مما جعلهم يتقيئون . ولاحظت أنهم يبصقون دمًا طوال الوقت . كان السجانون يعاملونهم كأنهم حيوانات ويرغمونهم على وضع الأنابيب داخل أفواهم . أضاف :

بدا لي ذلك شبيهًا بالقصص التي كانت تجرى داخل سجون النازية خطر لي أن أذهب وأضع هذا الذي يحدث ولكن خشيت من سطوة الحراس فقد كنت مسجونًا ولا أستطيع فعل شيء وخصوصًا أن موعد إطلاق سراحي كان يقترب . ولذا قررت أن أحكي ما شاهدته بمجرد خروجي من السجن .

أثناء وجودي بالسجن لاحظت أن السجناء العرب في قضايا أمنية يلقون معاملة سيِّئة . وأنا أثق أنه لو كان المضربون عن الطعام من السجناء اليهود لما كانوا يعاملون بهذه الطريقة . هدفي الوحيد هو أن أجعل الناس يعرفون ما جرى .

وكتب د. كابلوك في الثامن من أغسطس ١٩٨٠ أنه حين كتب مقاله – المومأ إليه – عن سجن النفحا لم يكن يدرك مدى خطورة الموقف داخل السجن حينذاك . على سبيل المثال فإن حالة المهندس الزراعي الفلسطيني توفيق أبو زهيره الذي أطلق سراحه بعد قضاء فترة عقوبة ثمانية عشر شهرًا بالسجن – بتهم مختلفة أهمها أنه قام بإيواء أحد أعضاء منظمة إرهابية – وأثناء نقله إلى السجن – بعد المحاكمة – أدرك أبو زهيرة أن هذا السجن لكسر روح المسجونين وتحطيمها بشتى أساليب سوء المعاملة .

بعد أسبوع في ١٥ أغسطس ١٩٨٠ كتب إيزرا ريفليز في جريدة آل هامشيار الإسرائيلية أن الذين قتلوا منا أعدادًا كبيرة ويقضون فترة العقوبة بسجن النفحا بالنقب ويعاقبون بسبب جرائمهم النازية ضد الدولة اليهودية لهم شكاوى متعددة ضد سلطات السجن بينها عدم مراعاة العدل والإنسانية التي ينبغي أن تتوفر للبشر .

ثم أشار إلى المذبحة التي حدثت على طريق تل أبيب الساحلي قائلاً : الضحايا اليهود لم يموتوا لشيء ارتكبوا ولكن فقط لأنهم يهود . وطالب بأن يتم معاقبة المسجونين بسجن النفحا بنفس الطريقة التي عوقب بها رئيس القتلة أدولف أيخمان .

يرد آمنون كابلوك على هذا الافتراء بمقال قوي نشر في عدد ٢٢ أغسطس من صحيفة آل هامشيار : المعنى الوحيد الواقعي المستفاد من مقال ريفليز أن يكون هناك تصريح بقتل كل المسجونين بتهم أمنية . بدعوى أنهم جميعًا نازيون . ولكن إيزرا ريفلز ليس لديه الدراسة الكافية بهذا الموضوع .. فمن بين ثلاثة آلاف سجين ألقي بهم في السجون من خلال المحاكمات العسكرية بتهمة الإضراب بأمن الدولة فإن الغالبية منهم تم سجنهم لأنهم أعضاء في منظمات إرهابية والأقلية للقيام بأعمال عنف .

قامت المنظمة الإسرائيلية لحقوق الإنسان وكذا عائلات السجناء بمظاهرات أمام القنصلية البريطانية وكذا أمام منظمة الصليب الأحمر في القدس الشرقية . وخلال المظاهرة رفعت لافتات بها شعارات تطالب بإغلاق معسكر النفحا .

لمدة ساعتين ظل المتظاهرون يهتفون باللغة العربية والإنجليزية والعبرية من خلال مكبرات صوت مطالبين بتحسين الظروف داخل سجن النفحا للسجناء الفلسطينيين ورفعوا لافتات تطالب بمحاكمة المسئولين عن السجينين الفلسطينيين اللذين ماتا داخل السجن . وأن توضع نهاية لامتهان كرامة السجناء بما يدفعهم

للإضراب عن الطعام . وبذا يوضع حد للتعدي على المضربين عن الطعام داخل السجن .

وأثناء المظاهرة تم قراءة رسالة بعث بها بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس طالب فيها القوى الديمقراطية داخل إسرائيل وكذا الرأي العام العالمي بضرورة وضع حد للجرائم التي ترتكب في سجن النفحا .

كما دعا إلى إغلاق السجن والاستجابة لمطالب السجناء السياسيين الفلسطينيين . قال في رسالته : أن السجناء الفلسطينيين يعانون من سوء المعاملة والقمع والقسوة التي تمارسها السلطات ضدهم وضد رفاقهم من السجناء في الأرض المحتلة .

قامت الشرطة الإسرائيلية بتفرقة المتظاهرين الذين تجمعوا خارج مقر الصليب الأحمر وتم اعتقال البعض منهم .

في ٢٨ يوليو نشرت جريدة ها آرتس الإسرائيلية أن الحالة الصحية لعدد من السجناء الفلسطينيين في مستشفى عساف هاروفيه تزداد تدهورًا بسبب معاناتهم من الأمراض الرئوية .

كان واحد من هؤلاء السجناء الثلاثة المضربين عن الطعام الذين نقلوا إلى المستشفى العام الماضي وحين لقي اثنان منهم حتفهما لم تندلع المظاهرات فحسب ولكن حدثت حالة من الاضطراب داخل القدس الشرقية . وبينما كان السجينان اللذان توفيا من خارج القدس إلا أن الثالث من أبنائها ولذا شاركت أسرته في المظاهرات . وظلت حالته الصحية تتدهور وحياته في خطر .

وجاء في تقرير كابلوك أن المحامية فاليسيا لانجر بعثت رسالة إلى وزير الداخلية الإسرائيلي تطالب بتشكيل لجنة للتحقيق في موت السجينين . وقالت في رسالتها أنها مستعدة للإدلاء بشهادتها وتقسم أنها شاهدت آثار التعذيب على أجساد ثلاثة

من الفلسطينين السجناء .

وفي مؤتمر صحفي قال أنور نسيبة وزير الدفاع الأردني السابق والمحامي بالقدس الشرقية أن الشخص المضرب عن الطعام لا يموت إذا استمر الإضراب لمدة عشرة أيام بسبب أمراض الرئة ولكن الموت يحدث نتيجة إدخال أنابيب بها سائل ملحي بالفم .

وذكرت جريدة الهيرلد تريبيون الدولية أن نسيبة له ابن عم مسجون في سجن النفحا تم سجنه ثلاث مرات .

للرأي العام الغربي مفاهيم خاطئة عن طبيعة دوافع الفلسطينيين السجناء ـ داخل السجون الإسرائيلية ـ لدوافع أمنية فتطلق عليهم الميديا الغربية « الإرهابيين » بسبب تأثر الميديا الغربية بالدعاية الإسرائيلية لكن هناك نسبة قليلة جدًا تقتنع بأعمال العنف التي يقوم بها الفلسطينيون لأن اعترافاتهم بالقيام بها تمت نتيجة التعذيب الذي تعرضوا له . في الثامن من أغسطس ١٩٨٠ كتب جنرال الاحتياط ما تياهو بيليه مقالا في جريدة هاكارتس لم يسبق الكشف عنها في وسائل الإعلام الغربية كتب يقول : على سبيل المثال منذ الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وغزة تعرض حوالي ٢٠٠ ألف مواطن فلسطيني للسجن والاعتقال في السجون الإسرائيلية لأسباب أمنية . هذا الرقم يمثل ٢٠٪ من عدد السكان بالمناطق المحتلة . وإذا ما أخذنا في الاعتبار نسبة عدد الأطفال وكبار السن من أهالي الضفة وغزة فإن هذه النسبة تعد مخيفة لأن هذا يعني أن نسبة عددية كبيرة من القادرين جسمانيًا تم وضعهم في السجن أو قيد الاعتقال لبعض الوقت . وقال بليد أن المتوسط الحالي للمعتقلين لا يقل عن ثلاثة آلاف معتقل .

لقد أدى ذلك إلى زحام رهيب داخل السجون وإلى معاناة إنسانية مروعة .

الكثير من السجناء لم يلقى بهم في السجن لارتكابهم جريمة محددة . ولكن لمجرد الاتهام بانتمائهم لمنظمات إرهابية .

يضيف جنرال بيلد : جريمة الانتماء لمنظمة إرهابية تحدث بشكل غير مقصود إذ كثيرًا ما يحدث أن بعض الشباب الذين يغادرون للدراسة في بلد عربي يسجلون أنفسهم لدى إحدى المنظمات الفلسطينيين .

وعندما يحدث ذلك فإنهم حين يعودون بعد انتهاء الدراسة أو في أجازاتهم يتم القبض عليهم ويقدمون للمحاكمة بتهمة الانتماء لمنظمة إرهابية .

ومن المعروف أن الشاب أو الفتاة الذي يعطى تصريحًا للدراسة بالخارج يدرج اسمه في سجل المنتمين لمنظمات فلسطينية إرهابية . هذا هو المعتاد في البلدان العربية .

ولهذا السبب ـ عن العودة ـ يمكن أن يمضي عدة سنوات داخل أحد السجون الإسرائيلية وهذا يترتب عليه معاناة لا حد لها لهؤلاء الشباب ولعائلاتهم . ويترتب على ذلك زيادة عدد المعتقلين لأسباب أمنية .

ولا يستفيد الأمن الإسرائيلي من ذلك وفي الوافع يتسبب في الإضرار بها يضيف جنرال بيلد : أن العضوية بهذه التنظيمات في الأراضي المحتلة ليست إلا أحد أشكال الاحتجاج السياسي ويمضي شارحًا وجهة نظره : إن هناك جوانب أخرى للمشكلة التي لا ينبغي أن نتردد في مواجهتها : الكثيرون من الذين كانوا أعضاء في تنظيمات سرية أثناء الانتداب البريطاني كانوا يرفضون المحاكمات العسكرية وكانوا يطلبون اعتبارهم أسرى حرب وليسوا مجرمين .

ثم يضيف : حتى هؤلاء الفلسطينيين الذين أدينوا في أعمال عنف لهم دوافعهم الوطنية وعندما ننظر إلى عائلاتهم التي تقوم بالتظاهر والإضراب عن الطعام للتضامن معهم لا يستطيع المرء سوى إنه يلاحظ أن أحوالهم الاجتماعية لا تختلف

عن الأحوال الاجتماعية لليهود الذين عملوا في تنظيمات سرية تحت الأرض على ارض إسرائيل .

بالطبع هناك فرق بين الحالتين يتمثل في أن الفلسطينيين يناضلون لاستعادة حقوقهم التي لا ينكرها أحد . بينما كان أعضاء المنظمات السرية الصهيونية يحاربون للاستيلاء على وطن شعب آخر . مع ذلك . رغم أن الفلسطينيين في جانبهم الحق والعدل . والصهاينة لم يكن هناك عدل أو شرعية فيما قاموا به فإن القضية الفلسطينية شوهت وتم تحريفها حتى أن إسرائيل تحاول أن تثبت للعالم أن الفلسطينيين ليس لهم الحق في نضالهم بل وليس لهم الحق في الدفاع عن أنفسهم ضد أي عدوان .

يضيف جنرال بيليد: الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين في ذروته الآن . وكذا الصراع للبحث عن حل . لن يوجد هذا الحل من خلال جدران السجون .

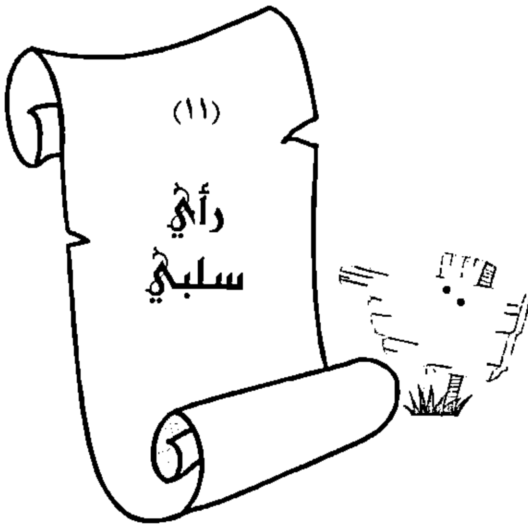
ولكن الأغلب من خلال الأمم المتحدة . وحينذاك ينتهي الصراع .

ولن يمنعهم أي شيء إن يروا رجالهم كأبطال . رغم إننا فعلنا كل شيء ممكن حتى يراهم العالم على أنهم مجرمين .



بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــعب
في مواجهـــة
الاحـــتلال







تعـود الأسـاليب البربريـة التـي تتعامـل بهـا سـلطات الاحـتلال الإسرائـيلي الفلسـطينيين في أساسـها إلى الموقـف الصـهيوني تجاه غـير اليهـود ولا سيما العـرب الفلسطينيين .

يجرى الحـديث عـنهم بشـكل يحمـل معنـى انحطـاط القـدر والإهانـة . وهنـاك حساسية شديدة لليهود إزاء ما يشعرون به تجاههم .

والجهود التي تبذل ليست لتـأثيم وإدانـة هـذه المشـاعر والأحاسيس التي لـدى اليهود ولكن لتغطيتها وإضفاء صفات النبل عليها وللتغطية على مـا بهـا مـن أخطـاء وفي نفس الوقت إضـفاء صـفات الحقـارة عـلى الأعـمال والإنجـازات والطموحـات العربية .

ولم يمر وقت طويل بعد انتخابهم حتى أدرك بسام الشكعة رئيس بلدية نـابلس . وكذا غيره من رؤساء البلدية العمد العرب الآخـرين ـ أدركـوا أنهـم يناضـلون ضـد الجمـود والقسـوة وعـدم العـدل والظلـم وانتهـاك حقـوق الإنسـان بشـتى أنـواع الاضطهاد ـ وإذا ما كان الأمـر كـذلك فـإن علـيهم أيضًـا تحمـل أن يحكمـوا بواسـطة أناس يحملون لهم مشاعر الاحتقار والامتهان .

في أثنـاء احتفالاتهـا بعيـد تأسـيس الدولـة الإسرائيليـة أقامـت إسرائيـل عروضًـا عسكرية مثيرة . وفي ذكرى التأسيس الثانية والثلاثين تم الاحتفـال أيضًـا بـما يسـمى إعادة توحيد القدس بشكل اتسم بالتفاخر والمباهـاة وبشـكل صـاخب ومثـير . قـال بسام الشكعة : إنهم رقصوا فوق مقابر الفلسطينيين .

وفي تقريـر لعضـو مجلـس العمـوم البريطـاني المسـتر R.J ماكسـويل هيسـلوب في لندن (١٨ أكتوبر ١٩٧٣ . هانسارود . عمور ٥٠٢ / تم عرض الموقف الإسرائـيلي تجاه الفلسطينيين بشكل تام قال فيه أنـه بعـد أسـابيع مـن حـرب ١٩٦٧ كـان ضـمن

مجموعة من ٦ أعضاء بالبرلمان البريطاني قاموا بزيارة إلى إسرائيل . وكانوا ضيوفًا على لجنة الشئون الخارجية بالكنيسة الإسرائيلي .

بعد الغداء تحدث دافيد هاكوهن (من مواليد روسيا) رئيس لجنة الشئون الخارجية بالكنيست ؟. تحدث عن العرب بلجهة ملؤها الاحتقار . وحين توقف لبرهة . أخبره المستر هاسلوب أنه قد شعر بالصدمة العميقة ـ لأنه تحدث عن العرب بهذه اللهجة ثم قال : إنك تتحدث عنهم وهم .بشر ـ بلهجة شبيهة تمامًا تلك التي تحدث بها يوليس ستريشّر عن اليهود .. ألم تتعلم شيئًا ؟؟

هكذا سأله ثم استمر قائلاً : سوف أظل أتذكر إجابته حتى اليوم الذي أرحل فيه عن هذه الدنيا . لقد ضرب بيده على المنضدة وقال ؟ لكنهم ليسوا بشرًا . إنهم ليسوا بشرًا إنهم عرب . يقصد بذلك اللاجئين العرب . في ٢٨ نوفمبر ١٩٧٥ قام ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لندن سعيد حمامي (الذي أغتيل فيها بعد) قام بنشر مقال في جريدة التايمز مشيرًا فيه إلى ملاحظات المستر ماكسويل هاسلوب . وبعدها كتب دافيد هاكوهن مقالاً في جريدة التايمز أنكر فيه أنه تفوه بهذا الكلام .

وفي رد آخر من المستر ماكسويل هاسلوب نشر في التايمز أكد فيه صدق روايته قائلاً أنه قد كتب نص العبارات التي تحدث بها دافيد هاوشن على ظهر علبة سجائره في نفس اللحظة التي تحدث بها وظل محتفظًا بعلبة السجائر في خزانته بالبنك الذي يتعامل معه . ولم يعلق دافيد هاكوهن على ذلك .

تحدث البروفسير إسرائيل شاهاك عن العنصرية اليهودية التي تسبب القهر والظلم للمواطنين الفلسطينيين داخل إسرائيل في كل جوانب حياتهم . وأما وضع الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة فإنه أكثر سوءًا .

في بداية ١٩٨٠ نشر دور همشيش عضو منظمة الشباب الصهيونية العالمية

بمقرها الرئيسي في القدس ـ نشر مقالا في صحيفتها لـ رابي إسحق جي برنستين الذي هو عضو مجلس الأحبار الأمريكية ومحاضر عن اليهود في كلية سشيرن ـ في المقال يقول : طبقًا للمبادئ التوارتية ـ أن الأراضي التي احتلت في حرب ١٩٦٧ تعد ملكًا لإسرائيل بشكل نهائي . وأن يكون هناك عرب يسمح لهم بالحياة في مساكنهم وأراضيهم فهذا لا يتناقض مع احتمال أن يأتي يوم تنزع فيه الملكية منهم .

أضاف : ليس هناك شيء اسمه « الأراضي المحتلة » أو الأراضي المستولي عليها لأن الحرب التي تم خوضها بتعليمات من حكومة إسرائيل فإن كل الأراضي التي تم غزوها واحتلالها نتيجة لهذه الحرب تعد ملكًا لإسرائيل .

ويضيف رابي ، وهو يهودي أمريكي يعيش داخل الولايات المتحدة الأمريكية : حيث أن هذه الأرض ملك لإسرائيل فهل من المسموح لنا المبادلة بها وتسليمها ضمن اتفاقية سلام أم أن القانون اليهودي يمنعنا من التفريط في بوصة واحدة من أرضنا المقدسة مهما تكن النتائج ؟؟

ويجيب على هذا السؤال : لقد جاء في الوصايا العشر أنه كي تعيش في إسرائيل لا تقيم بها مستوطنات فحسب ولكن ألا تسمح ببقاء أي جزء من أرض إسرائيل في أيدي غير اليهود .

هناك نماذج عديدة للعنصرية السائدة داخل المجتمع الإسرائيلي وكذا في الأراضي التي احتلتها . لقد كان من عادة رؤساء وزراء إسرائيل أن يبعثوا برسالة في مناسبة تأسيس الدولة إلى تلاميذ المدارس . هذه العبارة تبدأ بعبارة : عزيزى الطفل الإسرائيلي لكن مناجم بيجن أدخل تعديلاً . فكان يكتب عزيزي الطفل اليهودي .

في مقال بجريدة هاآرتس ـ الإسرائيلية ـ امتدحت هادا بوشيه المعلقة با؟لإذاعة والتليفزيون الإسرائيلي ـ امتدحت السيدة أورا اشيم توف التي ظهرت على شاشة

التليفزيون وطالبت بطرد جميع العرب من إسرائيل ومن الأرض المحتلة .

هادا يوشيه عبرت عن أسفها لأن السيدة شيم شوف لم تجد الوسيلة الملائمة لطرد جميع العرب .

وفي إذاعة إسرائيل دعا دافيد شيغهان نائب عمدة تل أبيب ـ دعا إلى طرد جميع العرب وان يحل محلهم عمال أتراك ويونانييون . قال أن الأتراك واليونانيين ليسوا لهم نفس البشرة السمراء التي للعرب ، وكما هو المعروف فإن العمال الذين يتمتعون بالبشرة غير السمراء يعملون أفضل .

ولم يقم واحد من زملائه الواحد والثلاثين أعضاء بلدته تل أبيب بالتفوه بكلمة واحدة لإدانة هذه التصريحات .

يستطيع المرء أن يخمن ما الذي كان يمكن أن يحدث لو أن أحد رؤساء البلديات العرب هو الذي أدلى بمثل هذه التصريحات ضد اليهود .؟؟ !

وما يزال من الأمور المعتادة أن تظهر إحدى الشخصيات الإسرائيلية في الإذاعة أو التليفزيون وتدلى بمثل هذه التصريحات العدائية ضد العرب .

في ٢٨ أغسطس ١٩٨٠ نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت تصريحًا للسيد / أقي ناتان نائب اتحاد ملاك الفنادق افسرائيلية قال فيه : أن العرب بالأرض المحتلة قاموا بعملية غزو لجميع المهن في القطاعات التي لا تتطلب عمالا مهرة مثل التنظيف وغسيل الأطباق ... إلخ .. والعمل في مجال الفنادق لا يتوقف لا في أيام العطلات ولا الإجازات الرسمية ولذا فهناك ورديات متصلة . وهذه المهن تلائم العرب ولا تلائم اليهود الذين يفضلون العمل ساعات محدودة وأن يجلسوا في المكاتب فهم يريدون أوقاتًا كي يستمتعوا بها .

لا يوجد في إسرائيل دستور ولا يبدو أنها تتجه إلى أن يصبح لها دستور لا توجه أيضًا قوانين ضد العنصرية الذي تمارس من جميع الأحزاب الصهيونية المنتمية لليمين واليسار .

حركة الكيبوتز التي هي أصلا عنصرية لأنها تحدد العضوية بها فتجعلها مقصورة على اليهود تساند وتدعم التوجهات العنصرية للدولة .

الطبيعة العنصرية للدولة تبدو واضحة عندما يتبين لنا أنهم كي يحرموا العائلات العربية الفقيرة من أي معونات مالية تمنح للأسر ولأطفالها فقد وضع نظام يقضي بأن هذه المعونات تمنح لأبناء الجنود القدامى . هذه العبارة وضعت لتوجيهها إلى الرأي العام اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية بحيث يبدو كأن هذه المنح والمعونات المالية تقدم للأبناء والأطفال المنتمين للجنود القدامى .

والواقع أن المهاجرين الجدد من الولايات المتحدة الأمريكية ومن الاتحاد السوفيتي[1] ـ يتلقون مزايا مادية أكثر مما يتمتع به الجنود السابقون .

ولأن العرب لا يؤدون الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي فقد وجد الإسرائيليون أن هذه الطريقة الوحيد التي يتأكد لهم بها أنه لا يستفيد العرب من هذه المعونات المالية (وهذا يتضمن ـ العرب المقيمين في إسرائيل) بقول القانون الإسرائيلي أن هذه المنح والمزايا المادية تعطي للأطفال الذين أباؤهم وأعمامهم وخالاتهم وأخوالهم وأجداداهم وأبناء عمومتهم وكل من له صلة قرابة بواحد من هؤلاء قد خدموا في الجيش الإسرئيلي أو في أي منظمة يهودية لنشر الفكر الصهيوني في العالم . ولم يكن من المطلوب تقديم أي دليل من الأسر اليهودية عن هذه

(١) ملاحظة للمترجم : المعروف أن أغلب نسبة من المهاجرين اليهود من امريكا ـ ومن روسيا (الاتحاد السوفيتي السابق) .

الخدمات التي قدمت في الماضي ولهذا السبب اعتبرت أي عائلة يهودية مهاجرة من الاتحاد السوفيتي تعتبر من عائلات الجنود القدامى . وبالتالي تتلقى هذه المساعدات المالية بينما يحرم منها الأطفال الفلسطينيون .

هناك دليل آخر على الموقف الإسرائيلي تجاه العرب من خلال مقال نشر في ٧ فبراير ١٩٧٩ بجريدة معاريف لدافيد هاكوهن ـ المشار إليه ـ سابقًا والذي وصف فيه العرب أنهم ليسوا حتى كائنات ؟آدمية « !!» قال هاكوهون في مقاله أن صديقًا دانماركيًا تحدث إليه مرارًا في أعوام سابقة مطالبًا أن تتوقف إسرائيل عن تدمير المنازل العربية في الأرض المحتلة لأن أصدقاءه . في الدانمارك الذين يناصرون إسرائيل يشاهدون مثل هذه الأعمال على شاشة التليفون يتذكرون فترة العقاب الجماعي التي تعرض لها شعب الدانمارك أثناء الاحتلال النازي لبلادهم . وقال هاكوهين أنه تحدث عن هذه ـ المسألة لأنه بعد فترة توقف عن الهدم (توقف الهدم عقب زيارة الرئيس السادات لإسرائيل) وبعدها بعام استؤنف ثانية حيث كان التدمير للمنازل التي استخدمها الإرهابيون [١] .

أغلب المنازل كانت تدمر قبل المحاكمة وحتى قبل ثبوت التهمة .

تقوم السلطات العسكرية بهدم المنازل الأكبر حجمًا والتي يقيم بها عائلات فلسطينية ويتم تحديديها بشكل اعتباطي .

اللافت للنظر أن هاكوهين لم يطلب وقف الهدم والدمار بسبب ما يترتب عليه من تعاسة وشقاء للفلسطينيين ولكن طالب التليفزيون حتى لا يشاهدها العالم . وتحدث بذلك ردود أفعال مثل تلك حدثت في الدانمارك .

يقول شاهاك : الآن سقطت . جميع الادعاءات التي تزعم بوجود شرعية للحكم

(١) هذا الوصف المقصود به المقاومة الفلسطينية .

في الأراضي المحتلة فالحكومة الإسرائيلية تطالب بصراحة ورسميًا أن يتم التعامل مع الفلسطينيين في المناطق المحتلة طبقًا لقواعد وقوانين مختلفة عن تلك التي يتم التعامل بها مع اليهود . وهناك الآن مطلب عام بطرد جميع الفلسطينيين من كل فلسطين ويدعم ذلك المطلب الصحافة وكذا المؤسسة الدينية اليهودية .

ومع ذلك لابد من الاعتراف بأن الحركة الصهيونية قد مارست عملية طرد الفلسطينيين من أراضيهم في أعوام سابقة .

يقول شاحاك : حقيقة أن من الأخطاء الكبيرة للفلسطينيين أنهم ركزوا في كتاباتهم على أحداث مذبحة دير ياسين فقط . فقد كانت هناك المئات من دير ياسين .

ويصف ما ذكرته جريدة دافار (صحيفة حزب العمل الإسرائيلي) التي تحدثت عن «عقلية الجيتو» للصهاينة الذين تعاملوا مع ما أسموه المسألة العربية .

هذه الواقعة جرت في ١٤ أبريل ١٩٧٩ ففي خطاب إلى الجريدة تصف سلوك جنود الجيش الإسرائيلي المتسم بالعدوانية الجنسية (يدعي الإسرائيليون أن جنودهم لا يقومون باغتصاب النساء) . ولكن هذا غير حقيقي فقد كانت هناك حالات اغتصاب كثيرة . ويقوم الجنود بقتل الضحية بعد ذلك .

كان هناك أحد الجنود الذي يعد شاهد عيان لأحداث جرت سنة ١٩٤٨ في قرية عربية تسمى دويما في اليوم الذي تلي احتلالها ، فقد قام جنود اللواء التاسع والثمانين بقتل ما بين ثمانين إلى مائة شخص من أبناء القرية رجالاً ونساءً وأطفالاً .

قتلوا الأطفال بحشرهم في أماكن ضيقة وطعنهم بالخناجر . لم يكن هناك منزل واحد لا توجد به جثث . ولا شيء من الذين نجوا من القتل في الهجوم الأول تم تجميعهم ووضعوا في منازل بلا طعام ولا ماء ثم قام واضعوا الألغام بنسف المنازل .

طلب أحد القادة من أحد الجنود واضعي الألغام أن يدخل إلى المنزل – المزمع

تدميره – امرأتين عجوزتين . لكن الجندي رفض وقال أنه يتلقى الأوامر من رئيسه المباشر فأمر القائد واحدًا من جنوده بوضع العجوزتين في المنزل . وهكذا تم نسف المنزل وبه المرأتان .

قال جندي آخر أنه اغتصب امرأة ثم أطلق النار عليها .

جعلوا امرأة أخرى كان معها طفلها تقوم بأعمال النظافة لعدة أيام بأحد الأبنية ثم قتلوها ومعها طفلها .

لم يكن ذلك يحدث أثناء لهيب معركة محتدمة بين الطرفين ولكن كان يحدث في إطار سياسة الطرد والقهر والأعمال الفظيعة التي تمارس ضد العرب الفلسطينيين . كان شعارهم : أن يبقى عرب أقل .. فهذا هو الأفضل .

وحدثت وقائع قتل فظيعة مماثلة في قرية كيبا الفلسطينية في أكتوبر ١٩٥٣ حين نفذ الجنود والإسرائيليون مجزرة لستين شخصًا من الرجال والأطفال والنساء .

ويقدم أحد مندوبي الأمم المتحدة شهادات عن الحادث حين وصف الأجساد والجثث الملقاة والمليئة بطلقات الرصاص التي اخترقت هذه الأجساد . كانت ملقاة داخل ممرات المساكن وأمام الأبواب بما يعني أن سكان هذه المساكن أجبروا على البقاء داخلها حين تم نسفها وكان الجنود الإسرائيليون يتجولون في شوارع القرية ويطلقون الرصاص ويلقون بالقنابل اليدوية داخلها .

لم يتم محاسبة الوحدة ١٠١ ولم تتعرض لأي عقاب وهي الوحدة التي قامت بهذه المجزرة وينظر إلى آخر أشهر أعضائها وهو مائير هاريزون على أنه بطل . هذا القاتل الذي يصف بفخر كيف مارس واستمتع بقتل الفلسطينيين العزل من السلاح .

في إحدى المرات عبر الحدود مع الأردن ومعه عدد من رفاقه قاموا بالقبض على

ستة من العرب قتلوا خمسة منهم بالذبح بالسكين وتركوا واحدًا وأطلقوا سراحه ليحكي ما جرى .

ما يزال العجز عن معاقبة اليهود ومحاسبتهم على أفعالهم الإجرامية مستمرًا حتى الوقت الحاضر . والموقف الإسرائيلي تتضح صورته من خلال واقعة قرية كفر قاسم الفلسطينية والتي جرت بها مذبحة دامية .

إذ دخلها الجنود الإسرائيليون بعد فرض حظر التجوال عليها في أحد أيام أكتوبر ١٩٥٦ بينما كان السكان يعملون في الحقول ولم يعلموا شيئًا عما يجري بالقرية وعندما عادوا قتلوا بدم بارد ومات في المذبحة ٤٧ من الرجال والنساء والأطفال .

مؤخرًا أعلنت صحيفة ها آرتس أن أحد عشر ضابطًا وجنديًا قدموا للمحاكمة بسبب هذه المجزرة التي جرت في كفر قاسم وتلقوا بزيادة بنسبة ٥٠٪ في رواتبهم «!!» أرسل مندوب خاص لإحضار الشيكات للمتهمين في عيد الفصح اليهودي . وأعطي بعضهم إجازات في هذه المناسبة .

خلال المحاكمة كان المتهمون يختلطون بالجمهور الذي يشاهد المحاكمة وبعض الضباط كانوا يبتسمون ويربتون على ظهورهم أو يصافحونهم . وكان واضحًا أن هؤلاء الناس سواء حكم بإدانتهم أو تبرئتهم لم يحاكموا كمجرمين ولكن كأبطال .

الضباط المسئولون عن الجريمة (ميلنكي وداهات) كان من المفترض سجنهما خمسة عشر عامًا على أقل تقدير ولكن خلال عام واحد أفرج عنهما وعن كل المتهمين . (بينما تذكر كفر قاسم في الصحافة الغربية وعند دعاة الصهيونية حين يكتب عنها مشيرة إلى الأحكام الأصلية الصادرة بحق المسجونين وتعتبر أن ذلك نوعًا من العدالة – بل نموذجًا للعدالة الإسرائيلية ولكن أبدًا لا يقولون أنهم أُفرج عنهم بعد عام) . وكل الرسائل من القرّاء التي تشير إلى هذه الواقعة أبدًا لا يتم

نشرها .

البريجادير شادمي – وهو القائد الإسرائيلي الذي أصدر الأمر للجنود بالقتل والتدمير وإيقاع المذبحة بالفلسطينيين في إجابة له عن السؤال ماذا نفعل مع المواطنين الفلسطينيين الذين يصلون إلى القرية ويجهلون أنها تحت أمر حظر التجوال ؟؟ قال لهم : لا أريد مشاعر إنسانية . (وجد هذا القائد أثناء محاكمة عسكرية خاصة وتغريمه قرشًا واحدًا بعد تسعة أشهر أمضاها في السجن) .

الملازم جافريل داهان الذي أدين في تهمة قتل أربعة وثلاثين عربيًا في ساعة واحدة تم تعيينه ضابطًا مسئولاً عن شئون العرب في مدينة رام الله .

للفلسطينيين مقولة يذكرونها في أدبياتهم وهي : أنهم ليس لديهم مشاعر كراهية ضد اليهود كيهود ولكن تجاه اليهود الصهاينة الذين سرقوا وطنهم . وعلى الجانب الآخر تبدي غالبية اليهود مشاعر الكراهية والاحتقار لكل العرب .

ويسمح للصهاينة – أن يظهروا هذه المشاعر ويتعامل معهم الجميع بنوع من الصفح حتى أنهم يتسامحون معهم في رفضهم الكامل إدانة العنصرية مع العرب .

هناك أمثلة عديدة لهذه المواقف العنصرية وبعض مما جرى هو الذي جعل المواقف التي أبداها بسام الشكعة تتسم بالبطولة .

عام ١٩٧٤ أصدر مجلس الحاخامات بالجيش الإسرائيلي نشرة تدعو لقتل المدنيين أثناء الحرب لأن العرب لا يوثق بهم . وفي ٢ يناير ١٩٧٩ نشرت جريدة هاآرتس مقالاً لكبير الحاخامات اليهود بالولايات المتحدة الأمريكية مورد خاي سافتسكي ، وهو يعد من كبار المرجعيات في قوانين الديانة اليهودية بالولايات المتحدة . قال في هذا المقال :

ممنوع إعادة الأراضي المحررة إلى غير اليهود وطبقًا للديانة اليهودية لا يمكن الثقة بغير اليهودي .

كتب في ملحق جريدة معاريف بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٧٩ : ينبغي أن تخلق المواقف التي تجعل العرب لا يعيشون بيننا . بل يعيشون في المملكة العربية السعودية أو الأردن . وقد نشرت الصحافة الإسرائيلية على نطاق واسع تصريحًا لقائد المنطقة الشمالية الجنرال أفيجدور بن جال وصف فيه العرب بأنهم مثل السرطان .

لاشك أنه لو أطلق هذا الوصف على اليهود لشعروا في كل أنحاء العالم أنهم انتهكت حرماتهم ولكن اليهود داخل إسرائيل ظلوا في حالة صمت إزاء هذا الوصف الذي أطلق على العرب . وكان الجنرال الإسرائيلي يتحدث عن عرب إسرائيل الذين هم مواطنون إسرائيليون .

في ٢٠ فبراير ١٩٧٨ ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت أن شمويل توليرانو وهو يهودي عربي عضو في الكنيست تلقى خطابًا من مسئول بوزارة الصحة جاء فيه :

أتمنى أن يأتي اليوم الذي تذبح فيه إخوتك العرب . سوف نبدأ أولاً بوغد مثلك . أفهم معاداتك للصهيونية فأنت في الأصل عربي .

ولم يتفوه أحد بكلمة إدانة من أي من المنظمات الإسرائيلية باستثناء المنظمة الإسرائيلية للحقوق المدنية عندما قام المستر توليداند بنشر هذا الخطاب .



بسام الشكعة
رجـــــــل
وشـــــعب
في مواجهـــة
الاحــــتلال







ليس أمرًا يدعو للدهشة في وصف الاتجاه العام السائد لدى الحكومة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين أن نقول أن أعمال العنف الفظيعة قد زادت في نسبتها ودرجتها - كمًا ونوعًا بمضي الوقت .

ولأن السلطات الإسرائيلية تبدي اهتمامًا بنقص أعداد المهاجرين الأوربيين (أعلن دافيد بن جوريون وجولدا مائير أنهما يريدان أن تكون إسرائيل دولة يهودية أوربية وليس دولة شرقية) .

وكذا لأن هناك أعدادًا كبيرة من اليهود السوفييت كانت مستقرة في الولايات المتحدة أكثر مما في إسرائيل فقد بذلت جهود ضخمة لجذب مسئولين ومهاجرين من الولايات المتحدة التي سادت بها حركة تمثل نوعًا من اليقظة الدينية ولا سيما بين صغار السن من الشباب الذين كانوا يطلقون عليهم «أن تولد مسيحيًا مرة ثانية» وهذه الحركة كانت تشجعها طوائف يهودية كانت ترسل مبعوثيها إلى العائلات اليهودية غير المتدينة حيث كان هؤلاء المبعوثون يذهبون إلى المدارس والكليات لهداية الشباب اليهودي .

أعداد كبيرة من هؤلاء الشباب ينتمون لعائلات غير متوافقة اجتماعيًا . وكانوا مقتنعين ببساطة أن إسرائيل هي أرض الميعاد التي يمكن غزوها بجماعات «جوش أمونيم» (كتلة يمنية عنصرية وتدعو بلا خجل إلى التوسع الصهيوني) .

قامت الطوائف المتعصبة من جماعة جوش أمونيم ببناء مستوطنات على كل الأرض العربية في الضفة الغربية وطرد المواطنين الفلسطينيين الذين يعيشون عليها .

مناحم بيجن كان يشارك هؤلاء المستوطنين أفكارهم ومعتقداتهم (وفي الواقع أن حكومته قامت ببناء عدد ضخم من المستوطنات على أرض الضفة) .

وكانت جماعة جوش أمونيم تلقى دعمًا وحماية من السلطات .

عمليًا كل الأفراد الراشدين من السكان اليهود في إسرائيل أدوا الخدمة العسكرية أو في الاحتياط . ولذا كلهم مدربون جيدًا على استخدام السلاح .

كل المستوطنين في الضفة الغربية (بما فيهم النساء) أعضاء في منظمة جوش أمونيم ويحملون السلاح لتخويف وتهديد الفلسطينيين الذي يتم إيقافهم في الشوارع بواسطة هؤلاء المستوطنين المسلحين . ويعاملون بطريقة تتسم بالاحتقار والوقاحة ثم يطلب منهم إظهار هوياتهم وفي بعض الأحيان خلع ملابسهم وضربهم لإشعارهم بالمهانة وبدون أي مبرر لذلك .

نشرت الصحافة الإسرائيلية تقارير حول هذه الانتهاكات التي قام بها المستوطنون المسلحون الذين كانوا كثيرًا ما كانوا يقتحمون المنازل ويغيرون على السكان ويقذفون بالأثاث خارج المنزل بينما يصرخون فيهم من خلال مكبرات الصوت يطالبون بمغادرة الضفة الغربية .

في يوم ٢٠ ابريل ١٩٧٧ جاءت قوات ترتدي زيًا عسكريًا موحدًا واقتحمت في مدينة نابلس وأرغمت السكان على القيام بنظافة الشوارع بينما أرغم البعض على الوقوف خارج مساكنهم رافعين أيديهم إلى أعلى وعلى ساق واحدة .. بينما رفعت الأخرى عن الأرض . مع ذلك وفي نفس اليوم قام تسعة أشخاص من اليهود الشرقيين أعضاء في منظمة (بلاك بانتر) قاموا بزيارة رئيس بلدية نابلس وأعضاء المجلس المحلي للتعبير عن تضامنهم مع شعب الضفة الغربية .

رحب بهم بسام الشكعة أثناء اللقاء الخاص الذي جرى مع أعضاء مجلس بلدية الضفة وأهدى لهم غصن الزيتون تعبيرًا عن الغربة المتبادلة في السلام .

وقد رفض السيد / بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس مقدمًا أن يلتقي مع رابي

مائير كانا زعيم مجموعة كاخ وهي التي تتسم بالتطرف الشديد وكراهيتها للعرب كحزب يمين . وكان قد وصل إلى نابلس مع ثلاثة من معاونيه المسلحين وألقى خطابًا في مدينة الخليل مطالبًا بتوطين اليهود في نابلس .

وفي نفس الوقت ذكرت الأنباء وقوع مظاهرات ضد الاحتلال وضد المعاملة السيئة التي يلقاها المسجونون السياسيون . واستمرت هذه المظاهرات خلال شهر أبريل ١٩٧٧ .

وإذا ما اندلعت مثل هذا المظاهرات لا يلقى المتظاهرون الفلسطينيون بسببها شتى أنواع العقاب فقط.. ولكن يعاقبون أيضًا لقيام الأطفال صغار السن بإلقاء الحجارة .

وطبقًا لما ذكره أمنون كابلوك « لا أحد يستطيع السيطرة عليهم » مع ذلك هناك أناس أبرياء من الفلسطينين يعانون جراء هذه الأعمال .

على سبيل المثال حين قام بعض الأطفال بإلقاء الحجارة على مركبة عسكرية إسرائيلية بالقرب من معسكر داهيشا للاجئين بالقرب من بيت لحم تم حصار المكان بالليل واستخدمت مكبرات صوت تطالب سكان المعسكر في عمر الأربعة عشر عامًا حتى الخامسة والستين من الرجال والنساء بالتجمع في الفناء .

قام الجنود بتفتيش المنازل وضرب السكان ولما كانت هذه الواقعة قد حدثت يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٩ (أي في فصل الشتاء) فقد تعرض السكان للبرد الشديد وهطلت الأمطار فوق رؤوسهم فضلاً عن المياه التي ظلت تنزل من مزاريب المساكن بشدة .

ولم يفرج عنهم إلا بعد وصول الحاكم العسكري ظهر اليوم التالي . وهذا يعني أنهم ظلوا يواجهون هذه المعاناة مدة ١٢ ساعة .

قال الحاكم العسكري أن مثل هذا العقاب سوف يوقع عليهم كلما قام الأطفال بإلقاء الحجارة على المركبات العسكرية الإسرائيلية وحين استفسر الشاب الفلسطيني أحمد عباس الذي كان قد تزوج - حديثًا عن سبب القبض عليه وهو ليس لديه أطفال - بعد - كانت الإجابة أن ضربوه أمام زوجته وعبثوا بمحتويات منزله من الأثاث .

وفي وقائع أخرى كانت تحدث لأنه مرة بقرية بيت جالا خرج مجموعة من التلاميذ في مظاهرة يوم ٢١ أغسطس ١٩٧٨ بمدرسة اسكندر خوري الثانوية - اعتقد أنها مظاهرة احتجاج ضد غزو لبنان . أمر الجنود الإسرائيليون التلاميذ بإغلاق النوافذ والأبواب ثم ألقوا عليهم قنابل الغاز المسيل للدموع مما دفع التلاميذ إلى إلقاء أنفسهم من الأدوار المرتفعة عن الأرض ١٨ قدمًا فانكسرت سيقان سبعة منهم .

أثناء زيارة قام بها الرئيس الأمريكي كارتر إلى إسرائيل قامت مظاهرة للطلبة بالضفة الغربية فتصدى لها الجيش الإسرائيلي والمستوطنون المسلحون مما أدى إلى إصابة سبع طالبات وشابين بينهم - نايف صالحان - الذي أصيبت ساقه .

تكرر إطلاق الرصاص في بيرزيت حيث تعرض للإصابة ثلاثة من الطلاب وتلميذ آخر أصيب بجروح ونقل إلى المستشفى .

قامت السلطات العسكرية بإغلاق مدرستين في رام الله وبيت ساحور . وتم القبض على عدد من الطالبات .

وحذر الحاكم العسكري للضفة من المجازر حذر نظار المدارس ومديري الجامعات من أنه في حالة وقوع اضطرابات سيتم إغلاق المدارس والجامعات .

يوم ١١ مارس ١٩٧٩ اقتحمت القوات الإسرائيلية فصول المدرسة الثانوية في

رام الله وألقت القبض على ١٢ من الطلاب تتهمة مشاركتهم في مظاهرة رغم أن الطلاب والمدرسين احتجوا بأنهم لا يعرفون شيئًا وأنهم كانوا في فصولهم أثناء المظاهرة .

تعرض الطلاب والمدرسين للضرب والعقاب البدني من أفراد الوحدة العسكرية الإسرائيلية وتم اعتقال ثمانية عشر طالبًا في فناء أحد المباني الذي كان اسطبلاً للحيوانات تابعًا لمقر الحاكم العسكري في رام الله.

هذا المبنى المتهالك كان مليئًا بالثقوب في سقفه وجدرانه مما عرض التلاميذ للبرد والمطر . واضطروا للنوم على الأرض . ولم يكن لديهم ملابس ثقيلة أو أغطية . وحين طالب أولياء الأمور إرسال أغطية لهم أو ملابس رفض ذلك الجنود الإسرائيليون .

يوم ١٥ مارس تكرر رفض الجنود إدخال الملابس والأغطية إليهم . كما رفضوا تفويض محامين للدفاع عنهم .

رغم ذلك . فإن بسام الشكعة يشير إلى مسألة مهمة وهي : كلما زادت قسوة الاحتلال وفظاعته فإننا نزداد صلابة في مواجهته لأنه مع مرور الوقت يبدو لنا واضحًا أنه ليس هناك ما نخشى أن نفقده .

يدعو رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجن الرأي العام العالمي لإدانة الشعب الفلسطيني بأكمله ، لما تبدر منه من أعمال تعبر عن اليأس . ولكنه يتوقع أن ينظر العالم إلى الأعمال الإجرامية التي تمارسها القوى الصهيونية نظرة متسامحة لأنها تتم في إطار المصالح اليهودية .

لقد ترتبت نتائج مهمة على الموقف المبدئي للكثير من القادة والزعماء الفلسطينيين مثل رئيس بلدية نابلس في مواجهة فظائع الاحتلال وظلمة وإرهابه الذي

يمارسه دومًا تجاه الشعب الفلسطيني .

ومن بين هذه النتائج إن بدأ العالم يدرك بعض الحقائق وربما بدأ ينظر إلى الصهيونية بعيون مختلفة . حتى في الصحافة الغربية بدأ يتولد لديها إحساس بالرعب حين نشرت أخبارًا عن إبعاد عائلتين فلسطينيتين : واحدة من نابلس . وأخرى من بيت ساحور إلى منطقة ـ صحراوية بجنوب النقب حيث الحرارة الشديدة والحشرات السامة والسحالي ماذا كانت جريمتهم ؟

كانت التهم الموجهة إليهم أن أبناءهم المراهقين قذفوا إحدى المركبات الإسرائيلية بالحجارة . ولقد أنكروا التهمة .

الطفل طارق شومالي ـ من بيت ساحور ـ اتهم أنه وهو راكب ألقى حجارة على إحدى المركبات . تم القبض عليه ونقل إلى المستشفى بعد أن تعرض للضرب الشديد (وهو الأمر الذي لم تنكره السلطات العسكرية طبقًا لما ذكرته صحيفة الجارديان البريطانية) وبعد احتجاجات دولية وإضراب عن الطعام قامت به العائلات المبعدة سمح لهم بالعودة إلى منازلهم .

من وجهة نظر الذين يوقعون العقاب ضد الفلسطينيين حين يقوم أطفالهم بمظاهرات سلمية (وهي ممنوعة تمامًا في الضفة الغربية) أو الذين يتهمون بإلقاء الحجارة على المركبات العسكرية الإسرائيلية ـ يصبح واضحًا في هذه الحالات أي أن عمل فلسطيني يتسم بالمقاومة سوف يترتب عليه ردود فعل انتقامية شديدة الفظاعة ضد أناس أبرياء . حتى لو قام بأعمال المقاومة أفراد فإن ردود الفعل الانتقامية هذه توجه للجماعات وعائلات بأكملها من الشعب الفلسطيني .

هكذا ..

فإنه حين يقوم التجار بإغلاق محلاتهم التجارية كنوع من الاحتجاج ضد

مشروعات الحكم الذاتي المقترحة كانوا يرغمون تحت تهديد السلاح على إعادة فتح محلاتهم حتى لا يشعر السائحون وزوار الضفة بأن هناك ثمة متاعب من أي نوع .

ليس هذا فقط ـ كما يقول بسام الشكعة ـ أي ـ لا يرغمون على فتح محلاتهم فقط ـ ولكن كان يتم إرغامهم على الوقوف في محلاتهم لعدة ساعات ـ كنوع من العقاب .

تم عقاب مدينة بيت لحم بقطع الحرارة عن خطوط التليفونات بها لعدة أسابيع . وكذا تغلق المدارس والكليات عند حدوث أي تذمر من الطلاب . وبهذا تضيع عليهم فرص التعليم واستمرارية العام الدراسي . يقول الفلسطينيون : أن هذه سياسة بوليسية مدروسة ومعتمدة حيث يتم الإغلاق في فترة الامتحانات نهاية العام الدراسي . وبهذا تضييع عليهم السنة الدراسية .

هناك عراقيل أخرى تضعها سلطات الاحتلال مثل الرقابة على الكتب والمطبوعات والقصائد الشعرية التي تمجد البسالة والبراعة تمنع . وذلك في كل الكتب المطبوعة التي ترد بها أوصاف مثل : شجاع أو نبيل . أو شريف في وصف أي عربي .

ينمو الأطفال الصغار بدون أن يكون لديهم أي معلومات عن كنوز الأدب العربي لأن الأعمال الوطنية أو القومية البطولية ممنوعة . ويسمح فقط بالقصائد الطنانة عن الأزهار والفراشات الجميلة .

عام ١٩٧٨ تم منع ٣١٩ كتاب في المناطق المحتلة . ومن ذلك الحين منع طبع أعداد أكبر من الكتب . ولم تصدر هذه الكتب للطباعة أو أصحاب المكتبات . هذه الكتب لا يمكن أن تستورد أو تطبع أو تخزن في المكتبات العامة .

هذه الكتب المحظورة قيل بشكل رسمي أنها في موضوعات : الفن . التاريخ . التدريس . الجغرافيا . وموضوع آخر يشار غليه من الرقب « الفكر » وربما يقصد به

الفلسفة .

بعض الكتب قيل أنها ضد المشاعر ولكن التعريف الصهيوني لهذا المصطلح يمكن فهمه من خلال إدراكنا أنه في سبتمبر ١٩٨٠ وقعت احتجاجات صهيونية ضد أحد كبار الناشرين البريطانيين نشر كتابًا مدرسيًا ـ اعتبرت فيه إحدى الفقرات « ضد المشاعر » لأنها ذكرت أن الفلسطينيين ١٩٤٨ أجبروا على النزوح من وطنهم وتعرض الناشر للمطالبة بسحب هذا الكتاب .

الكثير من الطلاب كانوا يتم احتجازهم في منازلهم أو ترحيلهم إلى أماكن أخرى وعديد منهم تعرض للإصابات بجروح أو قتلوا بواسطة المستوطنين المسلحين .

ذكرت صحيفة دافار في ١٦ مارس ١٩٧٩ أن طالبًا عمره ٢٤ سنة يدعي نصرى حسن الناتي وطالبة بالمدرسة عمرها ١٦ سنة تدعي راوا الشالاوا قتلا عند إطلاق الرصاص عليهما حين تجمع مئات من الفلسطينيين وأغلقاو الطريق الرئيسي في قرية حلحول . والقيت الحجارة على سيارة إسرائيلية . ويوضح التقرير الذي نشرته الصحيفة أن السيارة كان بها رجال مسلحون من مستوطني قرية كريات عربة وهي مستوطنة يهودية (أقيمت بعد طرد سكانها الفلسطينيين في الخليل ، بالإضافة إلى الشابين الفلسطينيين اللذين قتلا وأصيب شاب آخر في ساقه .

وفي تحقيق اجري تبين أن احد الفلسطينيين قتله أحد الجنود الإسرائيليين وأن الآخر قتله أحد المستوطنين المسلحين الذين قذفت سيارته بالحجارة . اعترف الجندي بواقعة القتل .

الجارديان ٤ يوليو ١٩٧٩ : في ٣١ يناير ١٩٨٠ نشرت جريدة معاريف أن أحد الجنود تم تبرئته في المحكمة العسكرية بالمنطقة الوسطى من تهم قتل نصرى حسن الناتي . رغم أن الجندي اعترف بارتكابه الجريمة . أضاف التقرير الذي نشرته

الجريدة : أثناء المحاكمة وفي بحثنا للقضية هكذا قال القاضي الذي برأ الجندي ـ شعرنا أنه قد تكون هناك رصاصة أخرى ـ غير التي أطلقها الجندي هي التي قتلت الفلسطيني .

وفي ٣ فبراير ١٩٨٠ نشرت صحيفة هاآرتس أن إسرائيليًا يدعي إيان ثور من مستوطنة كريات عربة تم تبرئته من تهمة قتل روا الشلاطا .

ولم تقبل شهادة جبرين شابوان ـ أحد سكان هالول الذي قال أنه شاهد عملية القتل (وهذا شيء مألوف حيث من المعتاد عدم قبول شهادة العرب طبقًا للعرف السائد عندهم « أنه لا كلمة للعربي » وذكر أنه قد تم حماية القاتل لانتمائه لمنظمة جوش أمونيم . رغم أن من المؤكد أن الإسرائيلي الذي قدم للمحاكمة ثبت أنه مذنب خلال الاستجواب وثبت أيضًا أنه أرسل مسدسه لإعادة حشوه بعد الحادث حتى لا يتم التعرف على دليل إدانته فقد ذكر التقرير الذي نشرته جريدة معاريف أن القضاه حكموا بأن هذه الجريمة قد نفذها القاتل ـ لكنهم فضلوا عدم إدانته في هذه التهمة اكتفاء بأنه (أمضى عدة شهور في سجن يتمتع فيه بمعاملة طيبة) .

وفي عام ١٩٧٩ تم كشف أن الجيش الإسرائيلي لا يأخذ المعارضين من الفلسطينيين أسرى لأنه ببساطة يفضل قتلهم .. حتى بدون معارك أو قتال .

خلال عملية غزو لبنان التي نفذت كإجراء انتقامي ضد العملية التي قام بها الفدائيون الفلسطينيون على الطريق الساحلي بتل أبيب قام الملازم الإسرائيلي دانيل بينتو بتنفيذ القتل بدم بارد ـ بعد توقف المعركة حيث ذبح أربعة رجال .

في خطاب إلى أعضاء الكنيست بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٧٩م كتب أوزي أفنيري : أن بينتو قدم تبريرًا لجريمته بوصفها أنها عمل انتقامي لأن قائده قتله أحد الفدائيين وهذا يفتقر إلى الحد الأدنى من الصدق فقد جرح القائد أثناء المعركة ونائب القائد

هو الذي قتل . وهذا كله لم يقع في القرية التي قتل فيها بينتو الرجال الأربعة . فضلاً عن أن الجريمة ذاتها جرت بعد وقت طويل من انتهاء المعركة .

وأكثر من ذلك أن هذا الادعاء لم يطرح أثناء المحاكمة . واحد من اللبنانيين الذين قتلوا كان عميلاً سابقًا للجيش الإسرائيلي وبينتو يعلم ذلك .

لقد قتله بينتو لأنه كان شاهدًا على قتله للرجال اللبنانيين الثلاثة .

عقوبة بينتو خففت من ١٢ إلى ٨ سنوات ثم خففت إلى سجن عامين فقط .

حالة أخرى شبيهة بهذه الواقعة وهي حالة العقيد آريه صادي أحد ضباط الغزو الإسرائيلي للبنان . على أحد الطرق واجه ثلاثة من العرب الذين لم يبدو أي مقاومة لم يكن هناك أي قتال ولا تبادل لإطلاق النار .

بالرغم من أن أمر العقيد صادي جنوده أن يقوموا بأسر الرجال الثلاثة . في وقت لاحق أمر بقتل أحد الرجال الثلاثة لأنه يبدو كأنه إرهابي .

الرقيب الإسرائيلي الذي نفذ عملية القتل روى الواقعة وقال أنه والعقيد صادي قدما للمحكمة الإسرائيلية التي حكمت عليه بالسجن لمدة عامين ونصف وتنزيل رتبة العقيد صادي إلى رتبة نقيب . قام المدعي العسكري باستئناف الحكم وقامت محكمة الاستئناف بالحكم بالسجن خمس سنوات على صادي وتنزيله إلى رتبة عسكرية أدنى .

رئيس الأركان الإسرائيلي جنرال رافائيل إتيان خفض الحكم إلى عامين ونصف بخصم منها ثلث المدة وإعادة ترقيته إلى رتبة رائد .

وأما بالنسبة للضباط الآخرين المتورطين في عملية القتل تخفيض العقوبات الصادرة بحقهم ـ حيث جعلها رئيس الأركان سنة واحدة حبس لكل واحد منهم . ورفض تخفيض عقوبة كل من الرقيب والعريف لكنها خفضت بواسطة الرئيس

الإسرائيلي مستر نافون إلى تسعة أشهر لكل منهما .

كتبت يافا زوجة العقيد الإسرائيلي صادي خطابًا نشر على نطاق واسع – أوضحت فيه أن العملية الإسرائيلية نفذت انتقامًا من حادث الهجوم الذي نفذه عدد من الفدائيين على الطريق الساحلي بتل أبيب .

ومن قاموا بالعملية الإسرائيلية تلقوا أوامر : لا نريد أي أسرى . اقتلوهم . اقتلوهم . اقتلوهم . ولم تبدي السيدة ولا زوجها أي إحساس بالندم تجاه ما جرى .

كتب يوري أفيري إلى أعضاء الكنيست : قام رئيس الأركان الإسرائيلي بتخفيف أحكام السجن على العقيد صاري بعد العاصفة التي أثارها الرأي العام الإسرائيلي تجاه هذه الأحكام المتعلقة بقضية هجوم الحرب بنيتو .

وهذا يثبت أن رئيس الأركان يتمسك بسياسته التي تهدف إلى تخفيف الأحكام على مجرمي الحرب قتلة العرب .

قام جندي إسرائيلي مكلف بنوبة حراسة في مدينة القدس بقتل عربي كان يمر بالصدفة في الطريق .. وبرر الجندي عملية القتل بأنه أحس بشيء من الغضب تجاه العرب .

ولما قدم للمحاكمة كان يزور أسرته كل أسبوع ثم حكم عليه بالسجن لمدة عامين .

في نهاية أغسطس ١٩٨٠ تم حبس جنديين إسرائيليين بتهمة سرقة وإخفاء أسلحة ومتفجرات لمهاجمة العرب بها سجنا لمدة تسعة عشر شهر وثلاثة عشر شهرًا على التوالي لقد سرقا ٢٦٤ عبوة من مادة T.N.T ، فيوزات أسلاك ، ١٥ قنبلة يدوية ، و١٤ قاذفة قنابل وأخفوا هذه الأسلحة في أحد الكليات الرئيسية في القدس المحتلة .

أثناء المحاكمة اعترفوا بنيتهم لمهاجمة أهداف عربية في الضفة الغربية .

ينبغي أن نأخذ في الاعتبار أنه لو كان أحد العرب ارتكب هذه الجريمة أو بالحد الأدنى امتلك بعض هذه الأسلحة لحكم عليه بالسجن مدى الحياة .

تساءلت الجيروزاليم بوست : هل أحكام القضاء العسكري الإسرائيلي كفيلة بمنع مثل هذه الجرائم في المستقبل .

هل هي مقصود بها أن تعكس ردود أفعال القضاء العسكري الذي يكيل بمكيالين ؟ هل من المتوقع أن هذه الأحكام تساعد على تقدم التعايش السلمي في أرض إسرائيل ؟!



بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــــعب
في مواجهـــة
الاحـــــتلال







عانى الفلسطينيون في الضفة الغربية وما زالوا يواجهون شتى صنوف الحرمان والقسوة والإرهاب على أيدي السلطات الإسرائيلية والمستوطنين الإسرائيليين .

سلطات الاحتلال تدعم وتشجع تكتيكات وخطط جماعات المتطرفين التابعين لمنظمة جوش أمونيم .

طبقًا لما نشرته جريدة التايمز البريطانية في ٧ يوليو ١٩٧٨ فقد أعلنت جوش أمونيم اليوم خططًا لتوسيع الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية بحيث يتزايد عدد اليهود وتفرغ أراضي الضفة من ساكنيها العرب الفلسطينيين الذين يتفوقون عدديًا على السكان اليهود حتى نهاية القرن الحالي .

ولتنفيذ هذا المخطط ينبغي أن مزيدًا من الأرض تفرغ من سكانها الفلسطينيين . لدعم هذا الموقف يجري الحصول على الأرض من خلال ما يسمى صندوق التمويل القومي اليهودي J.N.F الذي يقرر في قواعده التنظيمية أن غير اليهود لا ينبغي لهم أن يعيشوا أو يعملوا على هذه الأرض .

في بعض الحالات يتم توظيف الفلسطينيين كعمال (من جزء من الأجور التي تدفع للعمال اليهود) . على الأرض التي كانت لهم يومًا ما .

الإسرائيليون سرقوا آلاف الجالونات من المياه الفلسطينية وقاموا بتوصيلها بأنابيب إلى المزارع والمستوطنات الإسرائيلية ترتب على ذلك أزمة مياه كان لها نتائج خطيرة على محاصيل الفلسطينيين .

بعض الفلاحين العرب الذين حاولوا مقاومة سرقة أراضيهم ووجهوا بمخططات جديدة نجحت في حرمانهم من وسائل حياتهم ومعيشتهم الضرورية وطبقًا لهذه المخططات صارت الأرض ملكية يهودية .

مثلما فعل الأمريكان في فيتنام قام الإسرائيليون بإرسال طائرات ترش الأرض

الفلسطينية المنزرعة سواء داخل إسرائيل أو الضفة الغربية بمواد سامة على المحاصيل .

قال محمد ميلهلم رئيس بلدية الخليل أنه ذات صباح قام الإسرائيليون بتدمير مائتي فدان من الأرض العربية المنزرعة بمحصول القمح والشعير .

ودمروا أيضًا مساحات ضخمة من الأرض المنزرعة بأشجار الزيتون التي زرعت بها حديثًا والتي تحتاج إلى سبع سنوات حتى تثمر . وبجانب ذلك تم تبوير وإزالة الأشجار من آلاف الأفدنة .

قال بسام الشكعة : إنهم يأخذون المياه والكهرباء من أرضنا إلى مستوطناتهم وإلى معسكرات الجيش الإسرائيلي . وقال : بالرغم من احتياجنا الشديد إلى المال المترتب على هذه الخدمات التي تقدم للإسرائيليين إلا أنهم يتعمدون أن يجعلوننا ننتظر لعدة شهور قبل أن نتلقى أي مدفوعات . نحن نضطر أن ندفع لعمالنا وللوقود ، لكنهم بامتناعهم عن الدفع لنا يهدفون إلى إضعافنا اقتصاديًا وماليًا . لكن هذه الأعمال تجعل الشعب يدرك أكثر وأكثر معنى الاحتلال . وبذا يصير أكثر تصميمًا على النضال ضد هذا الاحتلال ، أكثر من أي وقت آخر .

مرت لحظة صمت ثم واصل حديثه :

أمر طبيعي أن الناس يناضلون ويقاومون الطغيان . جاء الإسرائيليون ذات يوم وبدون أي إنذار قاموا بنسف ثلاث منازل في نابلس .

كل أسرة بها عشرة أفراد بينهم كبار في السن وأطفال ، فجأة وجدوا أنفسهم في الشارع . هل ممكن تبرير مثل هذا العمل ؟؟

جانب آخر من المشكلة – كما يقول بسام الشكعة أنه في الماضي كان هناك ما نسميه العقل الغربي والعقل الشرقي رغم أننا جميعًا بشر . الغرب كان دائمًا يحب

الصهاينة ويكره العرب لكني أعتقد أن الوضع بدأ يتغير إذ يدرك الآن عدالة قضيتنا . لقد تسبب الغرب في الكثير من المشاكل التي نعاني منها بسبب مواقفه تجاه العالم الثالث .

ازدادت حالات التوتر وزادت أيضًا حالات العقاب المفروضة علينا . قال بسام الشكعة : الغرب وخصوصًا في دوائر اليهود ظل صامتًا إزاء الأعمال البربرية التي مارسها الإسرائيليون ضدنا والتي كان يمكن أن يكون لها ردود فعل مختلفة لو قام بها شعب آخر غير الإسرائيليين .

في ٢ يوليو ١٩٧٩ كتبت الجارديان تقريرًا بعنوان : إسرائيل تعاقب نابلس بسبب مسيرة احتجاج . جاء في التقرير أن عقابًا جماعيًا فرض على نابلس بسبب مسيرة الاحتجاج التي نظمت أمام مستوطنة أيلون موريه .

ذكر التقرير أن رئيس بلدية نابلس السيد بسام الشكعة وشخصيات أخرى قيادية تلقوا تهديدًا بمقاضاتهم إذا استمروا في تحدي الخطر على المسيرة التي تم تفريقها بقنابل الغاز والأعيرة النارية التي أطلقت في الهواء .

في تقرير كتبه بالجارديان أريك سيلفر . مضى يقول : رئيس بلدية نابلس وكذا رئيس بلدية خمس مدن أخرى بالضفة وممثلوا اتحادات التجارة والهيئات الدينية ذكروا أن المئات من العرب تم اعتقالهم لاستجوابهم ، ثم أطلق سراحهم وفي انتظار أن يمثلوا أمام المحكمة العسكرية .

قال رئيس البلدية أن إسرائيل ترفض السماح للطلاب الفلسطينيين بالسفر إلى الخارج لأداء الامتحانات للالتحاق بالجامعات العربية .

في هذا التقرير أريك سيلفر إلى خمسة عشر امرأة يهودية وخمسة وثلاثين طفلاً من مستوطنة كريات عربة احتلوا بيتًا في وسط مدينة الخليل ادعت النساء أنه لهن الحق

في العودة إلى هذا البيت – وإلى مدينة الخليل لأن يهودًا من أقربائها طردوا في مذبحة عربية عام ١٩٢٩ .

الصحفي أريك سيلفر الذي كتب مرارًا في الجارديان والأوبزرفر عن مذبحة ١٩٢٩ لم يوضح أبدًا أن الكثيرين من العرب قتلوا بواسطة المستوطنين الصهاينة ببشاعة ، في أماكن أخرى من فلسطين أكثر من الذين قتلوا في الهجوم على الخليل والذي حدث كرد فعل للهجمات المبكرة التي شنت ضد العرب .

نقطة أخرى وهي أن المستوطنين أغلبهم ولد في الولايات المتحدة الأمريكية ومن الصعوبة تصديق حقهم في العودة إلى الخليل . ولأن التاريخ يكرر نفسه فإن المعاناة صارت شديدة وقاسية .

السكان الذين يعيشون في الخليل عانوا كثيرًا من السلوك العدواني والانتهاكات التي مارسها ضدهم المستوطنون .

يصف القاضي المسلم – لمدينة الخليل والذي تم ترحيله منها ومعه رئيس بلدتي الخليل وحلحول ، بدون أي تهمة أو محاكمة ، في ربيع ١٩٨٠ – يصف كيف أن المستوطنين والجنود المسلحين يدخلون المسجد القديم بأحذيتهم ، ويؤذون مشاعر المسلمين . ثم يمسكون بالمصحف ، ويمزقونه ، ويعبثون بالمقتنيات الثمينة والتاريخية بالمسجد .

المستوطنون يتجولون داخل المدينة ويحدثون نوعًا من الهياج ويدخلون منازل الفلسطينيين ويضربونهم ويحطمون الأثاث وكل ما يقع في أيديهم من أبواب ونوافذ المنازل والمتاجر .

وبدلاً من أن تظل مدينة الخليل عربية قام المستوطنون الأجانب بغزوها بأكملها وهم لم يكونوا فقط أجانب بالنسبة لسكانها العرب . لكنهم حملوا لهم كل مشاعر

الكراهية .

لقد بدا أنه بشيء لا يمكن تجنبه أن يصبح الأمر كأنك وضعت شوكة في ظهر إنسان وتطالبه بالاستمرار في تحمل الألم بما يفوق طاقة احتماله .

طبقًا للقانون الإسرائيلي يسمح لليهود فقط بممارسة حق رد الفعل الانتقامي . قُتِل مستوطن من الدانمارك يدعى ياهوشو سلوما في الخليل . وقال البروفسور إسرائيل شاهاك : بأنه قتل يدخل في وصف عمليات النفاق والخداع التي تمارسها حكومة بيجن . وأنا أشعر بالاعتذار لأن عددًا من الصحفيين استخدم تعبير القتل . كان قد أعلن هدف تنظيم بيجن «أرض إسرائيل» عصابة صهيونية إرهابية تعمل تحت الأرض سرًا قبل إنشاء الدولة الصهيونية لقتل أي جندي بريطاني يجدونه في شوارع تل أبيب .

سلوما لم يكن فقط جنديًا . لكنه جندي في تنظيم «لشيفا» العسكري . وحدة خاصة لإساءة وتحقير معاملة الفلسطينيين .. أفرادها تم إجراء عمليات غسيل مخ لهم بمعسكرات تشبه معسكرات النازي .

وكرد فعل لمقتل سلوما تم فرض حظر تجوال كامل على مدينة الخليل كعقاب جماعي لكل المدينة هذا الحظر لمدة اثنين وعشرين ساعة ونصف على مدى اليوم الكامل . في كل يوم يتم رفع الحصار لمدة ساعة ونصف فقط . دون إخطار مسبق لسكان الخليل مما يجعل الأمر بالغ الصعوبة لهم في شراء حاجياتهم من المتاجر وقضاء متطلباتهم في ساعة ونصف فقط خلال اليوم .

هذا كان يعني أن كل فرد يندفع مسرعًا لشراء لوازمه من الطعام وعليه الانتظار حتى اليوم التالي .

أعلن رابي موشيه ليفنجر قائد مستوطنة كريات عربة ومستوطني الخليل – أعلن

أنه سيكون هناك رد فعل انتقامي صهيوني على قتل سلوما .

كتب داني روبنشتاين في صحيفة دافار في ٨ فبراير ١٩٨٠ : معنى ذلك قيام الحكومة الإسرائيلية بتخصيص المزيد من الموارد والجهود لإنشاء مستوطنات تستوعب مئات الآلاف من اليهود وسط الكثافة السكانية العربية في الخليل ونابلس والأماكن الأخرى .

رابي ليفنجر لم يأتوا إلى الخليل لمجرد بناء مربع سكني يهودي صغير كضاحية مغلقة لمدينة عربية كبيرة .

تضيف صحيفة دافار :

مع ذلك فإن هذا اليهودي المتطرف الديني رابي مائير كاهانا الذي ولد في الولايات المتحدة يؤكد لأتباعه أنهم سيعملون على طرد جميع السكان العرب من الخليل ومن يهودا والسامرا (الضفة الغربية) ومن كل أرض إسرائيل .

الواقع أن جميع أتباع منظمة جوش أمونيم ومعظم سكان كريات عربة يعتقدون أنه لتحقيق أهدافهم بجعل الضفة والخليل يهودية لابد من طرد جميع العرب منها وليس هناك وسيلة أخرى غير استخدام جميع الوسائل لإخلاء الأرض منهم .

عندما حدث في مايو ١٩٨٠ واقعة قتل ستة من المستوطنين في الخليل قالت صحافة العالم أنهم كانوا من اليهود غير المسلحين وكانوا عائدين من الصلاة دون أن تعطي أي معلومات عن هؤلاء المتعبدين العائدين من أداء طقوس العبادة والذين يحملون السلاح ويمارسون كل الأساليب الوحشية ضد السكان العرب بمدينة الخليل .

قال رئيس بلدية الخليل :

متعبدون ؟ .. لماذا أخفقت وسائل الإعلام العالمية في أن تقول الحقيقة وهي أنه

لا يوجد معبد يهودي للصلاة في الخليل .

تم عقاب عرب الخليل بفرض حظر تجوال وحصار استمر لمدة ستة عشر يومًا . لو أن طفلاً صغيرًا هرب من والديه وخرج إلى الشارع سوف يتم القبض على الوالدين وتدمير المنزل .

الفلاحون الذين حاولوا الخروج ليلاً لإطعام حيواناتهم وري محاصيلهم قبض عليهم وضربوا أمام عائلاتهم .

حظر التجوال كان يستمر لمدة ٢٣ ساعة في اليوم . وقد عانت مدينة الخليل من أزمات تموين . ولذلك فإن المدن المجاورة كانت ترسل إليها لوريات محملة بالطعام ولكن الجنود الإسرائيليين لم يكونوا يسمحون بدخول الطعام إليهم . وكان يتم القبض على السائقين .

لم يكن هناك لبن للأطفال . واللوريات التي كانت تأتي من المدن المجاورة على أمل أن يكون لدى الإسرائيليين قدر من عاطفة الرحمة تجعلهم يسمحون بدخولها وتفريغها .. لكن الإسرائيليين كانوا يرفضون ويقبضون على السائقين .

طوال الليل تسلط الأضواء الكاشفة على المناطق والأحياء والشوارع للتأكد من أن حظر التجوال لا أحد يقوم بخرقه .

وهكذا تعرضت الحيوانات والمحاصيل للتلف والموت وحين كان يأتي بعض الفلاحين من البلدان المجاورة للمساعدة يجري القبض عليهم .

أقيمت جنازة رسمية للمستوطنين القتلى وتليت صلوات على قبورهم تصفهم أنهم أبطال وشهداء .

وسائل الإعلام الإعلامية حينذاك فشلت أن توضح أي نوع من الرجال هم .

لكن التفاصيل بدأت تظهر فيما بعد رغم أن واحدًا من هؤلاء المستوطنين

المتعبدين كان يهوديًا أمريكيًا له سجل حافل بالعنف الإجرامي .

فهو من الجناح اليميني المتطرف وقد شارك في حرب فيتنام لأنه كان يستمتع بعمليات القتل ولما انتهت حرب فيتنام أراد أن يذهب إلى مكان ما يمارس فيه هواية القتل . ولذا قرر أن يعيش في الأرض المحتلة حتى يمارس هواية القتل ضد العرب . لكن ابتداء كان لابد أن يعتنق اليهودية ويسمى باسم يهودي فسمى إيلي هازيف . لأن اسم هازيف يعني : الذئب . وقد عرف باسم : الذئب في فيتنام بسبب طبيعته الدموية .

طبقًا للتقارير التي نشرتها جريدة الواشنطن بوست – الأمريكية – أنه كان عضوًا في تنظيم عصابي يميني يدعى : النازي الجديد الذي كان يحتفظ بصور للزعيم الألماني هتلر . كان دائمًا يحمل بندقية .

وبالرغم من كل الروايات التي جاءت في الميديا العالمية فقد كان لديه بندقيته (إم ١٦) عندما قتل . ومن عباراته الشهيرة : (العربي الوحيد الطيب هو العربي الميت) .

في ١٩٧٩ قبض عليه وسجن لمدة ثمانية شهور لتدمير عدد من المنازل في الخليل . وقد وجهت إليه تهم أخرى مماثلة وقبض عليه ولكن لم يقدم للمحاكمة .

من النادر جدًا بالنسبة للمستوطنين أن ينالوا أي عقوبة بسبب أعمال العنف التي يمارسونها والعقوبات الشكلية التي تصدر بحقهم هي مجرد نتيجة لتأثير وضغوط الرأي العام .

رغم أن آلاف الفلسطينيين تعرضوا لحالات الاعتقال الجبري الإداري فإن اليهودي الأول الذي واجه هذه الحالة هو رابي كاهانا . فقد ذكرت التقارير أنه كان يخطط للقيام بهجمات على العرب وعلى ممتلكاتهم بما فيها المسجد الأقصى الذي كان يخطط لنسفه الإسرائيليون – طبقًا لكلام بسام الشكعة يحفرون تحت جدران

الأقصى بحثًا عن هيكلهم .

وقد طبعوا عددًا من الصور لمدينة القدس دون أن يكون بها المسجد الأقصى ولكن تظهر الهيكل .

رغم أي شيء فقد نشرت جريدة التايمز – البريطانية – في ٦ أغسطس ١٩٨٠ أن رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجن أمر برفع عقوبة حبس مدتها ستة أشهر ضد كاهانا .

بينما كان الآلاف من المشاركين في جنازة المستوطن المقتول هازايف في شوارع مدينة الخليل كانت مساكن العرب الفلسطينيين مغلقة . اصطف الجنود في طوابير أمام وحول المقبرة بالإضافة إلى الجنرال إيتان وهو (إسرائيلي أشكينازي) . من الأوربيين والرئيس رابي شلومو جورن . وشخصيات تمثل الدولة الإسرائيلية والطوائف الدينية مثلت الحكومة من خلال إسحق شامير (عضو قيادي في عصابة شتيرن اليمينية ووزير الخارجية) .

قال رابي جورن لوالدي هازايف : الكولونيل والسيدة ماهون أن هازايف سوف يظل يذكر في سجل إبطال إسرائيل . شكر الكولونيل ماهون جورن وشرح له أنه ووالدته يشعران بالأسف للأنشطة التي مارسها أينهما في إسرائيل والتي أدت إلى قتله .

أصيب رابي بالصدمة . هذا ما قاله الكولونيل ماهون والد هازايف ..

ثم سأل بلهجة غاضبة : ما الذي تتوقعه ؟؟

نشرت جريدة الصنداي تايمز في ١٥ أكتوبر ١٩٨٠ والتي كشفت حقائق كانت خافية عن هازايف والمستوطنين الآخرين . ذكرت ما قالته أمه بعد الجنازة : نحن نقوم بتكريم الذين ماتوا . ولكنهم ماتوا على الطريق الخطأ .

دفعت الضفة الغربية ثمنًا باهظًا ومريرًا لموت هازايف ورفاقه .

كل المحلات التجارية التي بالقرب من موقع الهجوم تعرضت للتدمير رغم أنها كانت مغلقة أثناء وقوع الحادث يوم الجمعة (الأجازة الرسمية للمسلمين) . وكان أصحابها من التجار غائبين عن المنطقة في ذلك التوقيت .

الملكية التي حازها أصحابها بعد سنوات من العمل دمرت . بدا واضحًا أن أغلب المحلات التي دمرت كانت ملكًا لعائلة الحرباوي .

وكانت أسماء رجال من هذه العائلة تبدو على واجهات المحلات . وكان البعض منهم قد أنقذ حياة الكثيرين من اليهود سنة ١٩٢٩ . فضلاً عن العقاب الرسمي الذي وقع على المدينة قامت عصابات من المستوطنين اليهود بتحطيم نوافذ مساكن مئات من عائلات الفلسطينيين ومحلاتهم التجارية وسياراتهم ولم يوقع عليهم أي عقاب .

ثم فرض حظر التجوال على المدن والقرى الفلسطينية وبالإضافة إلى ذلك تم اعتقال الكثيرين وضربهم وتحطيم أثاث منازلهم وسرقة بضائعهم . ووقع عقاب جماعي على كل الأفراد بحلاقة الرأس بالموس للشباب وصغار السن .

وعندما قذف طفل حجرًا على مركبة الحاكم العسكري لمدينة طولكرم الكولونيل شالوم موتزافي ثم فرض حظر التجول على المدينة وقبض على أعداد من أبنائها وتم تفتيش منازلهم وتم جمع كل الشباب فوق سن الأربعة عشر عامًا للمثول في معسكر نورشمس للاجئين حيث وقعت حادثة قذف الحجارة .

أجبر وجهاء البلدة الذين وضعوا في المعسكر على أن يركبوا سيارة نقل ونقلوهم إلى طولكرم . كانت الساعة الرابعة ظهرًا .

الجنود الذين كانوا حراسًا عليهم أجبروهم على شراء مواد بناء على نفقتهم بـ ٥٠ ألف جنيه استرليني وتم تحميلها في سيارات النقل ورجعوا بها إلى المعسكر مع إقبال

الليل وهبوط الظلام . وعلى الأضواء الكاشفة التي تم توصيلها من الوحدات العسكرية أجبروا على بناء حائط يفصل بين المعسكر والطريق .

ذكرت صحيفة هاعولام هازية في ١٤ مايو ١٩٨٠ أن الرجال الفلسطينيين ظلوا يعملون والنيران موجهة على ظهورهم . وكل من كان يرفض العمل أو يتذمر يتم عقابه بدنيا بالضرب .

ظلوا يعملون وهم مرغمون على ذلك حتى الساعة الرابعة صباحًا معظم سكان هذا المعسكر (معسكر نورشمس) لاجئون من حيفا .. قالوا أن قوات الجيش أشاعت رعبًا حقيقيًا بين أفراد المعسكر . الكثير من الشباب صغار السن كانوا يسيرون وهم يضعون ضمادات على أيديهم وأرجلهم . قالوا أنهم تعرضوا للضرب المبرح على أيدي جنود الاحتلال بعد حادث قذف الحجارة على سيارة الحاكم العسكري .

ينبغي توضيح أنه حين تكون هناك قرية أو مدينة يفرض عليها حظر التجوال لا تلقى أي مساعدات طبية . وحتى الأشخاص الذين يعانون من أمراض خطيرة في القرى أو المدن التي يفرض عليها حظر التجوال كانوا يمنعون من الحصول على الدواء .

وحين كانت مدينة الخليل تحت حظر التجوال منع إجراء أي إحصائيات أو إعلان أي أرقام عن عدد الذين توفوا أثناء الحصار الكولونيل موتزافي عاد إلى محيط أخبار الصحافة ثانية عندما حدثت مظاهرة سلمية في النبطة أول مايو ١٩٨٠ . رفعت الأعلام الفلسطينية وقام بعض الشباب بقذف مركبة إسرائيلية بالحجارة .

الحاكم العسكري ونائبه قاما بتوجيه الجنود لإطلاق النار على ثلاثة من الأولاد الذين يحملون الأعلام . قام أحدهم بالقفز على حائط في اللحظة التي أصابه طلق

ناري في ساقه .

وكذا أصاب الولدين الآخرين بينما كان الولد الأول وعمره ١٧ سنة يدعى ناجي أحمد محمود أبو علي يرقد على الأرض وهو ينزف قام نائب موزتسافي بإطلاق الرصاص عليه وقتله .

رغم أن العشرات شاهدوا الواقعة بتفاصيلها فقد اخترع موتسافي قصة تلقفتها الصحافة الإسرائيلية ورددتها بأكملها ، القصة مضمونها أن الشباب قام بالهجوم على نائبه وهو يحمل العلم الفلسطيني بيد ويمسك سكينًا باليد الأخرى . وبمجرد نشرها رد البعض عليها بأن الشاب ليس لديه ثلاثة أيدي ليقذف الحجارة بيد ويحمل العلم بالأخرى ويمسك السكين باليد الثالثة وحين ظهر أن القصة ملفقة قال موتسافي – بعد أن غير أقواله – أنه كان يطلق طلقات تحذيرية ، ولكن لو صح ذلك فقد كان ممكنًا ألا يصاب أحد من الأولاد الثلاثة .

قال رئيس بلدية النبطة وليد حمد الله :

بدا الأمر كأننا نحن الذين قتلنا أحدًا . وليس العكس . فقد فرض علينا حظر التجوال ولم يسمح لنا بإقامة جنازة لائقة لشهدائنا الشباب حتى أنهم تم دفنهم في منتصف الليل بحضور ثلاثة أفراد من عائلاتهم فقط .

ويعقد بسام الشكعة مقارنة بين جنازة هاتزايف وجنازة الشهداء الفلسطينيين الثلاثة . وعندما اعترض عمدة النبطة على ما جرى وضع في غرفة – هكذا قال الشكعة – وأبقوه هناك حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

كانت هناك كلاب حراسة ضخمة شرسة . إذا أبدى أي حركة لمهاجمته ومزقته إربًا . أتستطيع أن تتخيل رئيس بلدية ما في أي مكان في العالم يتعرض لمثل هذه المعاملة ؟؟

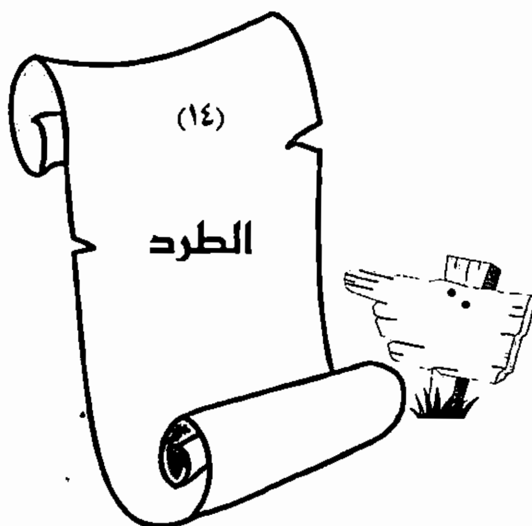
سابقًا : خدم موتسافي كنائب للحاكم العسكري في نابلس . وله أقوال تتسم بالبربرية أيضًا إذ من المعروف قوله – طبقًا لما ذكره داني روبنشتاين في صحيفة دافار عدد ١٦ مايو ١٩٨٠ – عن حوادث القتل في الخليل التي جرت لفلسطينين :

من المخجل أن هذا القتل لم يحدث في نابلس . وكان هو حينذاك نائب الحاكم العسكري لمدينة نابلس ..



بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــعب
في مواجهــة
الاحـــتلال







يعتقد بسام الشكعة أن ما جرى له هو نتيجة حتمية لتصاعد الأحداث والمواقف في الماضي والحاضر . وهو ما تم وصفه في صفحات هذا الكتاب .

وكما يقول : أن أسلوب التعامل الذي جرى مع رئيس بلدية النبطة تعطي مؤشرًا واضحًا للكيفية التي ينظر بها الاحتلال الإسرائيلي إلى زعماء وقادة المجالس البلدية الفلسطينية .

طبقًا للإعلان العالمي لحقوق الإنسان لا ينبغي أن يرسل إنسان إلى المنفى . ولكل إنسان الحق في العودة إلى وطنه . في شهادة لعبد الجواد صالح – رئيس بلدية البيرة (مدينة وقع عليها مؤخرًا عقوبات وحشية نفذتها وحدات من الجيش الإسرائيلي ومن المستوطنين – قال في ١٩٧٧ :

الطرد يمارس بواسطة الدولة الإسرائيلية لإزاحة الزعماء من بلدانهم لأن الهدف هو خلق مجتمعات بها أقليات عربية بلا زعماء . ولا قيادات . ولا قدرات فنية .

ونتيجة لسياسة تفريغ الأرض لا يصبح عليها من العرب سوى عمالة غير ماهرة ليواجهوا بها نقص العمالة التي يعاني منها المجتمع الإسرائيلي .

قام الإسرائيليون بطرد ١٥٦٠ من القادة الفلسطينيين عن مجتمعاتهم . الأغلبية منهم لم يمارسوا السياسة . وعمليات الطرد بالجملة التي تتم لهذه الأعداد الكبيرة وبهذه النسبة للقادة والزعامات الفلسطينية تبدو سياسة مخططة مسبقًا لنفي وإبادة الشعب الفلسطيني بلا إستثناء لم يتلقى – المرحلون – أي تحذير قبل إجراء عملية الطرد .

النموذج الفعلي الذي تتم في حالة الدكتور حنا نصير الأستاذ بجامعة بيرزيت الذي قبض عليه الساعة ١١,٣٠ ليلاً يوم ٢١ نوفمبر ١٩٧٤ بدون تهمة .

غطيت عيناه . قيدت يداه . ثم أرسل إلى الأراضي اللبنانية ولايسمح له برؤية

بلاده ثانية .

غالبًا ما يتم توطين الفلسطينيين في مناطق يسكنها المارونيون مما يمثل خطرًا عليهم . الذي جعل حالة رئيس بلدية نابلس حالة فريدة واستثنائية هو أن الإسرائيليين أعلنوا عزمهم طرده وترحيله من نابلس .

في نوفمبر ١٩٧٩ أعلن في وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية أن الإسرائيليين يعتزمون ترحيل الشكعة وطرده لأنه رفض إدانة الهجوم الذي وقع على شاطئ تل أبيب في ١٩٧٨ .

لم يفكر أحد أن يسأل الشكعة : ماذا حدث؟ وقامت الصحافة بتقديم رؤية الحكومة الإسرائيلية الرسمية فقط للأحداث .

قال يوسي ساريد عضو الكنيست عن حزب العمل (بلا تمحيص حقيقي) قال : أن الآراء التي رددها رئيس بلدية نابلس هي آراء تتسم بالتوبيخ والاحتقار . ولكن لسوء الحظ – أن هذه آراء العديد من الفلسطينيين الذين يعيشون في الضفة وغزة .

هذا يثبت أن فكرة التعايش في ظل ظروف الاحتلال – مجرد وهم وزيف .

قالت اللجنة المركزية لحزب المابام (ائتلاف حزب العمل) : أن التصريحات التي أدلى بها رئيس بلدية نابلس سوف تجري إدانتها بصرف النظر عما لو كانت تعادل الإدانة الكاملة للقتلة في حادث الشريط الساحلي بتل أبيب أو التأييد النسبي لهم[1] . الذي جرى في الواقع هو أن الجنرال داني مات المنسق الإسرائيلي للأراضي المحتلة أرسل في استدعاء بسام الشكعة الذي جاء ودخل غرفة المكتب ووجد ضباطًا ذوي رتب عالية . كان هناك ستة أو سبعة أشخاص . جرى تصافح بالأيدي وسأل الجنرال داني مات الشكعة عن رأيه فيما جرى من أحداث ؟ أجاب الشكعة أنه

(١) ملحوظة للمترجم : هي العملية الفدائية التي هاجمت فيها المقاومة أتوبيسًا إسرائيليًا ١٩٧٨ .

يعتقد أن الأمور تتطور إلى الأسوأ . وتحدث عن الصعوبات التي تواجه البلديات (حتى لو توفرت الأقوال من البلاد العربية فإن الإسرائيليين يرفضون بناء المدارس والمستشفيات وتصاريح المياه .

وتحدث عن الوضع الاقتصادي السيئ مع وجود نسبة تضخم تبلغ ١٣٠٪ تحدث عن الوضع القائم والذي يتمثل في حرمان القرى والمدن الفلسطينية من أي تمويل بينما يصب المعونات المالية في المستوطنات اليهودية وشرح بسام الشكعة الأوضاع السيئة التي يواجهها المسجونون السياسيون وأشار إلى حادثة وقعت داخل سجن طولكوم حين كان المسجونون يؤدون صلاة الجمعة في أحد الأيام وفي وجود الإمام أطلق الجنود النار عليهم . قال مات : أنه لم يسمع بهذا الأمر . ووعد ببحث الموضوع . قال أيضًا أنه سيبحث موضوع نادر الفوري عندما حدثه الشكعة بشأنه ونبه إلى أهمية .

تحدث الجنرال مات عن اثنين من المسجونين . وقال أن أحدهما قتل زوجته بسبب الخيانة والآخر شارك في الهجوم على الأتوبيس الإسرائيلي بشاطئ تل أبيب الساحلي . وبالتالي فهو قاتل أيضًا وليس هناك شيء يتعلق بالسجن السياسي .

وأخذ مات يتحدث عن أعمال P.L.O منظمة التحرير الفلسطينية وسأل الشكعة إن كان قد أدان عملية الشاطئ الساحلي بتل أبيب أم أيدها ؟!

أجاب الشكعة أنه يدرس ويفحص مثل هذه الأعمال محاولاً تفهم دوافعها دون أن يقوم بالمساندة أو الإدانة .

«لو أن لدي ابن وارتكب خطأ ما سوف أحاول أن أعرف لماذا فعل ذلك . لو أنني وجدت أن هناك سببًا لهذا الفعل سوف أحاول التعامل مع الأسباب التي أدت إلى هذا الفعل . لكن لو أنني وجدت أنه لا توجد أسباب لسوء التصرف الذي بدر

منه . عندئذ سوف أذهب به إلى الطبيب » .

ويمضي الشكعة – قائلاً : رغم أن الفلسطينيين نفذوا هجومًا فإن الإسرائيليين ارتكبوا جرائم عدة . في جنوب لبنان وفي السجون . وضد الناس المقيمين في الأرض المحتلة ثم استطرد : إسرائيل لم تحترم حقوق الفلسطينيين كبشر وآدميين .

سأل مات :

هل تؤيد إذن واقعة الهجوم على الأتوبيس بساحل تل أبيب؟

قال الشكعة :

لم تسأل هذا السؤال؟ لقد شرحت لك وجهة نظري . أنتم تهاجمون الناس وتحرمونهم من أبسط حقوقهم الإنسانية ولهذا هم يقومون بالرد على ما تفعلونه يثأرون .

لقد تلقيت خطابًا من أحد الجنود الإسرائيليين شارك في حرب لبنان . قال أنه يشعر بالخجل لأنه يحارب في صفوف الجيش الإسرائيلي بسبب ما شاهده من فظائع . أعداد متزايدة من الجنود الشبان قدموا للمحاكمة لرفضهم الخدمة في الأراضي المحتلة) .

استمر رئيس بلدية نابلس قائلاً :

إذا كان الإسرائيليون يعتبرون هجماتهم على جنوب لبنان رد فعل إزاء بعض الأعمال الفلسطينية فكذلك الفلسطينيون يعتبرون ما يقومون به رد فعل مماثل لما يفعله الإسرائيليون .

على الإسرائليين أن يدركوا أنهم حتى يتم وقف هجماتهم التي تمثل انتهاكات للقوانين والشرائع – فعليهم أن يتوقعوا عمليات ثأرية من جانب الفلسطينيين لأن إسرائيل ليس لها وحدها الحق أن تفعل ما تشاء .

أبدى الجنرال مات دهشته قائلاً : لو أن الضفة الغربية خاضعة للحكم الأردني فلن يسمح لك أن تقول مثل هذا الكلام .... بالطبع إسرائيل دولة ديمقراطية . أجاب الشكعة : ليست المسألة أن يستطيع الكلام أو لا يستطيع ففي الأردن لا أحد يقول له أن هذه الأرض ليست ملكًا له . ولا أحد يقول له أن البيت الذي يعيش فيه ليس بيته .

ثم أضاف : حركات النضال العربي الداخلي – هي حركات في سبيل الديمقراطية . ولكن لا أحد على الإطلاق يقول لي أنت أجنبي على الأرض والمدينة والقرية التي أعيش عليها .

أي نوع من الديمقراطية هذه ؟

قال الجنرال مات : المناقشة انتهت وأضاف أنه سعيد بلقاء رئيس بلدية نابلس ، ويأمل أن يراه مرة ثانية .

بعد أن عاد الشكعة إلى مكتبه جاءت أخت نادر الفوري وقال لها أنها جاءت في اللحظة المناسبة تمامًا لأنه كان يناقش حالة أخيها مع الجنرال مات الذي وعد ببحث الأمر . بعد نصف ساعة رن جرس التليفون وجاءت مكالمة من إذاعة إسرائيل تعلن أن الجنرال مات صرح أن رئيس بلدية نابلس قال أنه يؤيد الهجوم على الأتوبيس بالشريط الساحلي لتل أبيب .

في اليوم التالي نشرت صحيفة هاآرتس عناوين صحفية على الصفحة الأولى :

إنني متعاطف تمامًا مع القتلة في حادث الشريط الساحلي . بسام الشكعة .

عقب هذا التقرير الصاخب كانت هناك عاصفة في الكنيست ووزارة الدفاع . وعد أعضاء الكنيست الغاضبين بالتحقيق وبحث الأمر .

رغم أن الشكعة لم يخطر بأي شيء رسميًا إلا أنه سمع أن وزير الدفاع أزرا

وايزمان ورئيس الوزراء قرر طرد رئيس البلدية .

في نفس هذا الوقت تقدمت زوجة الشكعة ومحاميه يطلب إلى المحكمة العليا لإسقاط هذا القرار .

قام المنسق العسكري باستدعائه ثانية وقال أنه يجري ترحيله خارج نابلس لأنه يقوم بتحريض الناس ضد مصلحة الدولة الإسرائيلية .

أجاب الشكعة : أن الناس اتخذوا الموقف الذي يريدونه بأنفسهم ولم يقم بتحريضهم .

في هذه اللحظة . أدرك أن الحديث الذي جرى مع الجنرال مات تم للإيقاع به .

عاد إلى نابلس وقال للناس أنه سيقاوم قرار الطرد . قال : هذا وطني . سأعيش هنا وأموت هنا . أيضًا سوف أناضل من أجل حريتي .

أهل نابلس أكدوا أنهم سيشاركون النضال ضد الاحتلال لأن الأرض أرضهم أيضًا . اجتمع رؤساء بلديات مدن الضفة وأعلنوا أنهم سوف يستقيلون إذا ما اتخذ أي إجراء لترحيل وطرد عمدة نابلس .

- قامت عدة مظاهرات ضد قرار الطرد . وكان هناك إضراب في الضفة .

تم استدعاء الشكعة مرة ثانية إلى مكتب المنسق العسكري حيث وجد ثلاثة رجال من العسكريين بالحكومة المسئولين عن الضفة الغربية .

...وا أمر الطرد وقالوا أنهم سيضعونه في سجن رام الله . سأل إن كان بوسعه الـ...سال تليفونيًا بزوجته السيدة عناية وسمح له بإجراء المكالمة التليفونية قبل أن يتم ترحيله إلى السجن .

حين دخل السجن كان أمامه الوقت الكافي لتأمل الأحداث في الفترة الماضية .

قبل عدة شهور تم استدعاؤه، ورتبوا له لقاء مع وزير الدفاع (حينذاك كان آزر فايتسمان).

دخل الشكعة غرفة المكتب. شاهد عددًا من الضباط ذوي الرتب العسكرية العالية. قال فايتسمان: إنه يرجو أن ينتبه الشكعة جيدًا لما سيقوله لأنه سيؤثر على حياته وعلى مستقبله.

أضاف فايتسمان: أن بسام الشكعة يواجه إسرائيل والسلطات ليست مستعدة لقبول هذا الموقف أو أن تسمح له بالاستمرار فيه.

أضاف فايتسمان: لو أنك واصلت الاستمرار في هذا الموقف سنعاقبك بدنيًا.

ركز وزير الدفاع على هذه الكلمات. بعد ذلك أرسل له المنسق العسكري مؤكدًا نفس التهديدات. قال: لو أنك واصلت الاستمرار في هذا الطريق سوف تواجه أسوأ شيء لم يحدث لك من قبل في حياتك.

لم يكن لدى الشكعة أدنى شك أن السلطات العسكرية تكرهه. ليس هو فقط ولكن تكره رؤساء بلديات الضفة كلهم. وكذا الشعب الفلسطيني.

...

رغم التهديدات التي تلقاها لم يخطر بذهن بسام الشكعة المدى الذي يمكن أن يصل إليه الإسرائيليون في تخطيطهم لو أنهم فشلوا في طرده.

« لقد فكرت أنهم لو كانوا يعتبرونني شخصًا مزعجًا لهم فمن المحتمل تدبير حادث قتل عرضي لي. سيبدو الأمر كأنه مجرد حادث بالصدفة. مثل هذه الحوادث وقعت عدة مرات.

ثم سجن الشكعة لمدة ٢٦ يومًا، وأضرب عن الطعام لمدة أسبوعين احتجاجًا على سجنه بدون قضية وبلا اتهام. وكذا على قرار طرده بدون سبب.

تضامنًا مع بسام الشكعة في استدعائه للمحكمة العليا تقدم ٢٤ رئيس بلدية مدينة بالضفة باستقالاتهم بينما استمرت الاضطرابات والاحتجاجات في الضفة .

اثنان من رؤساء بلدية الضفة المستقلين : كريم خلف رئيس بلدية رام الله . وإبراهيم الطويل رئيس بلدية البيرة اتهما السلطات الإسرائيلية بتلفيق التهم ضدهما لإسكاتهما .

محاولة نفي وإبعاد السيد بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس والإجراءات المتصاعدة ضدنا هي جزء من مخطط إسرائيلي يهدف إلى إخلاء الضفة الغربية من القيادات القادرة على مواجهة سلطات الاحتلال ومخططاته الإجرامية .

أضاف : أنها محاولة مكشوفة لإسكات الرجال الذين انتخبوا في مواقعهم بواسطة الشعب الفلسطيني .

رئيس بلدية بيت جالا تم طرده أيضًا من منصبه العام الماضي بعد توجيه اتهام مماثل له (لإزاحة هؤلاء رؤساء البلديات استخدمت السلطات الإسرائيلية نصًا في القانون الأردني يقضي بأن الموظف العام إذا ما وجد مدينًا في تهمة تمس الشرف فإنه يبعد عن منصبه ولا يسمح له بالترشيح ثانية) .

ولأنه كان مستحيلاً تجاهل الغضب العام الذي اجتاح الضفة والاحتجاجات العالمية المتصاعدة ضد هذا الإجراء الذي اتخذته سلطات الاحتلال فقد قررت إسرائيل الإفراج عن الشكعة من سجنه وإعادته إلى موقعه كرئيس بلدية لنابلس .

لم يكن هذا هو – لسوء الحظ – نهاية القصة في الشهور التالية حين مارس الشكعة مهام منصبه أحس بالمرارة لأن أحدًا لم يسأل ما الذي قاله بالضبط للجنرال مات وعما إذا كان إبعاده والتهديد بترحيله له مبرر حقيقي .

مع ذلك لم يدر بخلده ولا خطر له أن التهديد الذي واجهه كان هناك متاعب أخرى أكد ما تزال تنتظره عندما قامت السلطات الإسرائيلية بترحيل كل من محمد

ملحم رئيس بلدية حلحول . فهذه القواسم رئيس بلدية الخليل والشيخ رجب التميمي قاضي الخليل عندما تم ترحيلهم إلى لبنان فإن الإسرائيليين تعلموا درسًا من قضية الشكعة .

الإسرائيليون يريدون التخلص من رؤساء البلديات بإبعادهم لأننا كنا متهمين بالتحريض وإثارة الشعب الفلسطيني ضد سلطات الاحتلال ولكن كما قلت من قبل الشعب الفلسطيني قادر على التفكير بنفسه . منذ أن فكر الإسرائيليون في إيجاد زعماء للبلديات يتعاونون معهم لكنهم فشلوا في ذلك .

ولذا فإنهم مارسوا كل أساليب الاضطهاد بالترحيل والاعتقال والهجمات علينا .



بسام الشكعة
رجـــــــــل
وشــــعب
في مواجهـــة
الاحـــــتلال







في يوم ٢ يونيو ١٩٨٠ تجمع اثنان من رؤساء البلدية المطرودين ومعهم القاضي في لقاء كبير بأعضاء مجلس العموم بلندن – ليتحدثوا إليهم عن التجربة التي مرت بهم .

في هذا اليوم جاءت الأنباء بخبر عن انفجار قنبلة في سيارة كريم خلف رئيس بلدية رام الله وأن ساقه قد بترت في عملية جراحية . وأن قنبلة أخرى انفجرت عندما كان بسام الشكعة يدير محرك سيارته وأنه كان في حالة صحية سيئة عندما تم بتر ساقيه .

قال رئيس بلدية حلحول أنه ليس لديه أدنى شك عن مسئولية مرتكب التفجيرات رئيس بلدية وقاضي الخليل اتفقا معه في أنها مسئولية السلطات الإسرائيلية وأن الأمر في الأغلب تم التخطيط والتدبير له في وزارة الدفاع .

قنبلة ثالثة وضعت في جراج سيارة رئيس بلدية البيرة ولكن لأنه سمع عن الانفجارين الأخيرين مبكرًا .. فقد أخذ حذره ولم يصب بأذى .

ذكر تقرير لصحيفة التايمز في ٦ يونيو ١٩٨٠ أن بسام الشكعة تم نقله إلى الأردن لعلاجه وقال التقرير أن الجناح اليميني المتطرف هم من نفذوا الهجمات .

أوضح التقرير أن نقل الشكعة المفاجئ من نابلس إلى الأردن قامت به عائلته بعد أن قال الأطباء المعالجون أنه لا توجد لديهم الإمكانيات الكافية لإنقاذه لا سيما أنهم واجهوا تعقيدات من جانب إسرائيل .

وقد رفضت العائلة عرضًا من حكومة إسرائيل لعلاجه في مستشفياتها وبدلاً من ذلك حصلت على إذن بنقله إلى عمّان . ثم النقل بسرعة بعد أن قرر الأطباء أن ضغط الدم وصل إلى مستوى حرج .

وكما هو معتاد في الشأن الفلسطيني فقد أخفت الصحافة الغربية معظم الحقائق المهمة المتعلقة بالهجمات لأنه كان ثمة تخوف من كشف كل الحقائق وإلا سوف تحدث عاصفة .

القنبلة التي كانت تزن كيلو ونصف حطمت جميع النوافذ بمنزل الشكعة .

شقيق الشكعة الذي كان على مسافة غير بعيدة من المنزل حين سمع صوت الانفجار حسب أنه اختراق لحاجز الصوت (من إحدى الطائرات) .

ولأن السلطات الإسرائيلية كانت تهدف إلى التخلص من بسام الشكعة فقد قطعت كل أسلاك التليفون بمنزله ، ولما حاولت الأسرة الاتصال بالتليفون وطلب المساعدة وجدت هذه الأسلاك مقطوعة .

قال الشكعة أنه يريد أن يؤكد أنه رفض العلاج بمستشفى إسرائيلي لمجرد أنه إسرائيلي – وهذا غير حقيقي – هذا فضلاً عن حقيقة أنه لم يكن مستعدًا لقبول تغطية الإسرائيليين لجريمتهم بهذه الوسيلة . فقد تذكر ما حدث لمحاميته السيدة فاليسيا لانجر التي تلقت تهديدات بالقتل .

وكاد القتل أن يتم فعلاً حين حاول أحد المستوطنين متعمدًا أن يصدمها بسيارته إلا أنها جرت مبتعدة عن الطريق وظل مستمرًا في محاولته حتى أنقذها أحد العاملين في مكتبها بدفعها بعيدًا عن الطريق .

ورغم ذلك أصيبت بجراح : ولولا نجاح زميلها في دفعها بعيدًا عن الطريق لكانت قد لقيت حتفها فورًا .

وقد عولجت بعد ذلك في أحد المستشفيات الإسرائيلية . قال لها الطبيب أنه سوف يشعر بالخجل إذا ما أخبر زوجته وأطفاله وأصدقائه أنه قام بعلاجها لأنها تدافع عن السجناء الفلسطينيين السياسيين ولهذا فهي خائنة .

نقطة أخرى تؤخذ في الاعتبار وهي أنه عندما نقل الشكعة إلى الأردن فقد كان في حالة سيئة جدًا حتى أن ضغط الدم بلغ نقطة الصفر وتوقف قلبه مرتين رغم ذلك حين كانوا يعبرون به كوبري دانيا على الحدود الأردنية – رفضت السلطات

الإسرائيلية السماح له بالعبور من هناك وجعلت سيارة الإسعاف تعبر من فوق كوبري اللنبي مما أضاف ٤٥ دقيقة للرحلة .

هناك ملحوظة أخرى مهمة للغاية وهي أنه بالنظر إلى حالات ردود الفعل الانتقامية الناجمة عن الهجمات على المستوطنين اليهود بفرض الحصار وحظر التجوال والاعتقال والضرب والإهانة . هذا يظهر حقيقة كيف أنه لا أحد يحاول تفهم نظرة سلطات الاحتلال لكل من اليهود والعرب .

هناك جانب آخر مهم وهو الاعتقاد أن سبب عدم التحقيق في حادث الانفجار هو أن مرتكبيه معروفون وأنهم فضلاً عن ذلك يتمتعون بالحماية .

في الحقيقة هناك أكثر من دليل قوي ودافع يؤكد صحة هذا القول .

لا أحد قام باستجواب زوجة الشكعة أو أطفاله أو جيرانه وهو يعرف أن خط تليفونه قطعت عنه الحرارة . وهذا ما جرى لخطوط تليفونات رؤساء البلديات الآخرين رغم أن تليفون الشكعة كان يعمل قبل الانفجار فقد تحدث من خلاله إلى أحد أصدقائه .

يبدو أنه لابد من الوصول إلى استنتاج حقيقة أخرى وهي أن النية كانت مبيتة عند وقوع الانفجارات .

هناك وقائع أخرى مهمة . على سبيل المثال قام الحاكم العسكري باستدعاء رئيس بلدية جنين لحديث معه وقال له : لو أنك بقيت في مواجهة مع الاحتلال فإنك سوف تعاقب بدنيًا . وقال رئيس بلدية القبطية في اليوم التالي للهجوم عليه – كما يقول الشكعة – لابد أن تضع في حسبانك ما جرى بالأمس .

كل هذه العوامل تشير بوضوح – هكذا يضيف الشكعة –إلى مسئولية هؤلاء عن الهجمات .

في أعقاب الهجوم لاحظ أحد أبناء الشكعة آثار أقدام في فناء المنزل حيث

انفجرت القنبلة - كما لاحظ أنه قد وضع وتد خشبي في أحد جوانب حديقة المنزل حتى يستطيع أحد التسلق فوقه .

استدعت الأسرة الشرطة التي جاء أفراد منها وقاموا بفحص آثار الأقدام ثم جاء ضباط من سلطات الاحتلال ساروا على أقدامهم في الممرات وتفحصوا المكان حول المنزل من جميع الاتجاهات إلى الأمام والخلف حتى يطمسوا آثار الأقدام .

كما أزالوا الوتد . تقول عائلة الشكعة أن رجال الأمن الإسرائيليين كانوا يتجولون حول المنزل . يراقبونه متطفلين ويرصدون تحركات من بالداخل لذا يرون أنه من المستحيل لأي شخص زراعة قنبلة دون علمهم .

نقطة أخرى مهمة - لوحظ قبل الانفجار - تواجد سيارات الأمن الإسرائيلي التي كانت تحوم حول المنزل - وحين وقع الانفجار (الذي سمعه شقيقه من مسافة قريبة) لم يتواجد أحد منهم .

وفي أعقاب الانفجار انتشرت الشائعات في نابلس هذه الشائعات رددت أن ثمة شيء وقع لرئيس البلدية . ولذا ظل الأصدقاء يستفسرون ويسألون .. وبعد ساعات من الهجوم أعلن راديو إسرائيل أن العرب قد يكون لهم صلة بالحادث الأمر الذي تردد في بث عدد من المراسلين الأجانب المؤيدين للصهيونية في الضفة الغربية للأخبار .

قالت السيدة فاليسيا لانجر أن الذين نشروا هذه الشائعات وردّدوها هم الذين خططوا للهجوم وكانوا يهدفون إلى تشتيت بالانتباه عن المجرمين الحقيقيين .

بعد أسبوعين من الهجمات كان أحمد سابا ، رئيس مجلس قرية سيروف بين بيت لحم والخليل كان قد أوقظ من نومه الساعة الواحدة بعد منتصف الليل بواسطة رجال يرتدون زي الجيش الإسرائيلي يطرقون باب بيته وعندما رفض فتح الباب لهم - حاولوا تحطيمه والدخول عنوة .

وعندما أحس المواطنون من أهل القرية بما يجري أحاط بالسيارة العسكرية ٤٥٠٠ مواطن فلسطيني أخذوا يقذفون الحجارة .

قام الإسرائيليون بإطلاق الرصاص من بنادقهم النصف آلية . غادروا المكان عند مدخل البيت وضعوا قنبلة .

أبلغ أحمد سابا الشرطة التي بعثت أحد المتخصصين لإبطال مفعول القنبلة . وقال أنه تعرض للهجوم في ول يونيو ١٩٨٠ (الليلة السابقة للهجوم الذي وقع على رؤساء البلدية بسام الشكعة وكريم خلف) . طبقًا لما ذكرته جريدة دافار ٢٨ يونيو ١٩٨٠ .

وذكر أنه حين شارك في اجتماع احتجاجي ضد حادث تفجير سيارة السيد الشكعة . وقام ضابط إسرائيلي باستدعاء باروخ (المعروف لدى الفلسطينيين جيدًا بأنه سادي ومتخصص في التعذيب) .. وقال باروخ : أن أحمد سابا سوف يتم الاهتمام بأمره ... ومثل هذه التهديدات – تلقى اهتمامًا من الفلسطينين ويأخذونها بجدية .

على سبيل المثال في ١٧ إبريل سنة ١٩٨٠ قام الطلاب العرب بالجامعات الإسرائيلية بعقد اجتماع للتعبير عن احتجاجهم ضد الهجوم الدموي الذي شنته قوات جيش الاحتلال ضد الطلاب العرب بجامعة حيفا .

هدد ضابط إسرائيلي عضو لجنة الطلاب العرب رفيق بدرنة قائلاً : سوف نحطم لجنتكم .

بعد عشرة أيام تم القبض على رفيق بدرنة بتهمة كتابة شعارات على جدران أحد المنازل قبل ستة أشهر مضت وهي الواقعة التي لا يعلم عنها بدرنة شيئًا اعتقل بدرنة لمدة ٢٥ ساعة وتعرض للإهانة والضرب بشدة حتى أنه فقد ثلاثة من أسنانه .

وخلال الاعتقال هدد معتقلوه أثناء التحقيق مرارًا بتحطيم لجنة الطلاب العرب .

طبقًا لتقرير نشرته جريدة التايمز البريطانية في ١١ سبتمبر ١٩٨٠ جاء في هذا التقرير أن إبراهام باشيتوف رئيس «الشين بيت» (جهاز الأمن الإسرائيلي السري) قد استقال من منصبه لمنعه من مواصلة التحقيق في حادث الهجوم على رؤساء البلديات الفلسطينيين .

جاء هذا الخبر في مجلة إسرائيل وفلسطين التي تطبع في باريس - يطبعها الإسرائيلي مكسيم جيلان - عضو سابق في عصابة شتيرن - رحل عن إسرائيل سنة ١٩٦٩ ، وهو رجل معروف ومشهور بصدق معلوماته فيما يتعلق بأجهزة الأمن الإسرائيلية .

في عدد ٢ يونيو سنة ١٩٨٠ - من هذه المجلة - نفس اليوم الذي وقع فيه حادث الهجوم على رؤساء البلديات نشرت المجلة تفصيلات جديدة إذ ذكرت أن هناك مؤامرة لاغتيال العمد وتدمير ونسف المسجد الأقصى .

كما جاء في التقرير أيضًا أن استقالة السيد أشيتوف (رئيس الشين بيت) سحبت مؤقتًا لأن مناحم بيجن طلب منه الاستمرار في منصبه حتى نهاية العام وذلك لتكذيب تقرير ظهر في الواشنطن بوست الأمريكية يؤكد خبر استقالته بسبب منعه من متابعة نتائج التحقيق مع اثنين من المتورطين في حادث التفجيرات .

ثمة اعتقاد بأن أشيتوف كان يعتقد أن الرجلين الإسرائيليين المشكوك فيهما قام كل منهما بقيادة مجموعة من ثلاثة أفراد في مجموعات كوماندوز خاصة هي التي وضعت القنابل في سيارات العمد .

وجاء في التقرير أيضًا أن الرجلين المشكوك فيهما ينتميان لمجموعة يشكلها أحد مستشاري بيجن ممن ينتمون لجناح يميني شديد التطرف عندما كان بيجن في

المعارضة د. وفي ذلك الحين شجع بيجن تشكيل إدارة سرية للقتل والاغتيال . هذه الإدارة استفادت من المجموعات والرجال شديدي التعصب والتطرف دينيًا .

ويذكر التقرير أن زعيم المجموعة طالب سابق بإحدى الجامعات الإنجليزية . كان عميلاً للموساد (جهاز الاستخبارات الإسرائيلي) وشكل جماعات تسمى عقاب الرب تكونت خلال فترة رئاسة السيدة جولدا مائير للوزارة . وقامت بقتل أعداد كبيرة من الفلسطينيين في أنحاء العالم .

لقد استفاد من خدمات جماعات زيلوت Zealo (إحدى الجماعات اليهودية المتطرفة والمتعصبة) في إسرائيل . الضفة . الولايات المتحدة . فرنسا . ألمانيا . هولندا . إيطاليا .

والمتعصبون كانوا يعدون لعمليات كوماندوز خاصة مثل تلك العمليات التي نفذت ضد عمد الضفة . ولقد تردد أن هذه الجماعات هي المسئولة عن التفجيرات . ولما علم المستر أشيتوف بهذا كان حتمًا أن يتقدم باستقالته وعقب وقوع حوادث الهجوم على العمد قام آمنون كابلوك بزيارتهم بالمستشفى .

علن أن كريم خلف قد فقد ثلاثة لترات من الدم وأحضر إلى المستشفى وهو في حالة من الصدمة وأن عملية البتر التي أجريت لساقه استغرقت ثلاث ساعات .

بالقرب منه في غرفة مجاورة كان يرقد اثنان من الشباب - الطلاب بجامعة بيرزيف . سألهم د. كابلوك عما إذا كانوا قد جرحوا في اليوم السابق خلال المظاهرة؟
- أية مظاهرة ؟

هكذا سأله واحد منهم وهو طالب كان يدرس علم الجيولوجيا . ثم استطرد : لقد كنا سائرين على أحد الطرق الرئيسية عندما مر بنا أحد المستوطنين وهو في سيارة مدنية ومعه بعض العسكريين طلب منا التوقف . لكننا لم نفعل . ولم نعط

الأمر أهمية . فجأة حين كنا نحاول تجنبهم أطلق الرصاص تجاهنا . لقد جرحت في ظهري وجرح صديقي رياض عناية في ظهره وساقه .

ألم تقذفهم بالحجارة؟ هكذا سأل كابليوك – لا – أجاب الطالب غاضبًا – لم نقذفهم بالحجارة ولا بقطع من الورق . لقد أطلقوا النار علينا بلا سبب .

ذهب د. كابليوك إلى المستشفى الذي كان يعالج به بسام الشكعة بضاحية الرافدين بمدينة نابلس حتى يطمئن عليه ويتابع حالته التي كانت ما تزال خطيرة لأن ضغط الدم كان ما يزال عند الصفر والنبض توقف مرتين . تطلب الأمر نقل كميات من الدم إليه إذ أنه فقد سبعة لترات من الدم .

بينما الأقارب والأصدقاء يقفون بالممر بالقرب من غرفته في صمت .. وكتب د. كابليوك أن السيدة عناية زوجته كانت ترقد في غرفة مجاورة وما تزال في حالة صدمة ولا يسمح لأحد بزيارتها .

اقترب الصحفي من السرير وكتب :

المشهد مخيف . يستطيع المرء أن يشاهد بوضوح رغم البطاطين المغطى بها الشكعة إلا أن الواضح أنه فقد ساقيه . كان يرحب بنا في صوت ضعيف قائلاً : شكرًا لحضوركم .. سوف يعلم الإسرائيليون بذلك . المجرمون بدأوا بنا وسوف ينتهون باليهود . لن يتوقف ذلك . لن يدعونا نعيش في سلام . ولن يستطيع اليهود الإسرائيليون العيش في سلام .

الأساليب التي يستخدمونها ضدنا سوف يستخدمونها مع اليهود . ليس لديهم أي احترام لأي قيم إنسانية تتعلق بنا وسوف يستخدمون نفس الأساليب معكم .

إنها إذن مهمة قوى السلام في إسرائيل أن تناضل بشدة ضد أعداء السلام وضد الذين يحاولون عرقلة مسيرة السلام العادل . ويمضي كابلوك : عندما سألناه كيف

يشعر؟ أجاب رئيس البلدية : روحي المعنوية الآن أعلى وأفضل مما كانت عليه قبل الهجوم الغادر والجبان .

استمر قائلاً : وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة : لقد حسبوا أنهم يستطيعون قهر أرواحنا وهزيمة إرادتنا لكننا لن نوقف النضال في سبيل حقوقنا .

إنهم لا يفهمون مغزى أن أحدًا لا يستطيع قهر إرادة الشعب كله .

وبالقرب من السرير رفعت بعض الشعارات الوطنية تقول : لو أن مناضلاً فقد ساقيه فإن أقدام الشعب الفلسطيني كله تقف على أرض فلسطين .

سوف يعذبوننا . يقتلوننا . يرحلوننا . لكن أبدًا لن نستسلم .

كلمة بسام معناها الابتسام . أي الضحك . ولقد وزعت صوره وهو على السرير بالمستشفى وعلى وجهه ابتسامة أبدًا لا تغيب .

أحد الفلسطينيين كان في كندا زار الشكعة حين كان في لندن . قال : لقد حدثت لي صدمتان : الأولى : حين سمعت الأنباء المروعة عن الجراح التي أصيب بها . وأما الثانية : حين شاهدت الأخبار في التليفزيون . وكان وجهه تعلوه ابتسامة .

تعليقًا على محاولة اغتياله قال بسام الشكعة : هذه حلقة ضمن سلسلة تحاول بها السلطات إجبارنا على قبول اتفاقيات كامب ديفيد .

إنه أمر طبيعي أنهم لا يستمعون لنداء السلام والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في العيش بسلام .

مثل أي دولة عدوانية . إنهم يغرقون في القمع والقهر والرعب . لا تنس أن تفجير سيارتي سبقه حادث إطلاق نار على طالب ببلدة النبطة في ١ مايو بواسطة الحاكم العسكري لطولكرم في وقت لاحق قام بزيارة والد الطالب الذي أطلق عليه الرصاص وقال له :

إنني آسف لأن ابنك هو الذي قتل لأن الابن المقصود بالقتل هو ابن بسام الشكعة وابن حلمي كمون رئيس بلدية طولكرم . هذان هما المقصودان بالقتل . ينبغي أن يكون واضحًا أن هذه هي سياستهم ترحيل ونفي الزعماء وتحطيم المنازل وإخلائها من ساكنيها الذين يقذف بهم في الشارع واستمرار الاستيطان ومصادرة الأراضي .

كل هذه الأعمال ضد السلام وضد العدل . الكثيرون من أصدقاء بسام الشكعة من الفلسطينيين ومنهم : إلياس فريج رئيس بلدية بيت لحم لم يستطيعوا زيارته في المستشفى لأنهم كانوا قيد الاعتقال الجبري في محافظاتهم رغم ذلك فإن الذين اتصلوا به وبالآخرين من ضحايا الهجمات واجهتهم بعض الحقائق التي لا يمكن التهرب منها والتي جعلتهم يطرحون التساؤلات العديدة على سبيل المثال كتب داني روبنشتاين في صحيفة داتار ٢٧ يونيو ١٩٨٠ أنه ليس من السهل الحصول على المعلومات في الضفة الغربية بسبب نظام الاتصال التليفوني السيئ (بتعليمات من الحاكم العسكري لم يتم توصيل أي خطوط تليفون حديثه منذ ١٩٦٧ في الضفة الغربية) رغم هذا فقد علم أن كريم خلف قد أخبر الكثيرين في المستشفى أنه قد مضت ثلاثة أسابيع منذ محاولة اغتياله ولم يأتي إسرائيلي واحد لاستجوابه أو استجواب أحد من جيرانه كذلك .

قال أيضًا : أنه والشكعة قد شاهدا إسرائيليين بالقرب من منازلهم ليلة وقوع الحادث .

لم تدلي السلطات الرسمية باي معلومات عن أي تحقيق حول الحادث .

عندما زار بيجن قيادة مراكز الشرطة الإسرائيلية هذا الأسبوع أعلن راديو إسرائيل أن التحقيق حول حادث التفجيرات الذي أصاب رؤساء البلديات قد انتهى .

أضاف : ليس واضحًا بعد من الذي دبر هذا الحادث ضد أحمد سابا . كما ليس

واضحًا من الذي دبر الأحداث الأخيرة في الضفة في الفترة الأخيرة .

كتب آمنون كابليوك في جريدة عآل هامشيهار – الإسرائيلية – عن النقص في المعلومات التي تجري حول اغتيال رؤساء بلديات الضفة بالمقارنة مع ما يجري حين يحدث هجوم على اليهود .

وكتب آمنون كابليوك في مقال بعنوان : هذه هي الطريقة التي يتعاملون بها في المناطق المحتلة بجريدة آل هامشيهار ٢٧ يونيو ١٩٨٠ :

تغريد البوتما فتاه موهوبة شابة وهادئة كانت تغادر الأتوبيس الذي نقلها من قريتها البطير في بيت لحم وظلت تمشي مع صديقاتها في اتجاه الجامعة . أطلقت رصاصات في اتجاهين . وسقطت تغريد بعد إصابتها على الأرض . قاموا بنقلها إلى المستشفى القريبة ومن هناك نقلت إلى مستشفى هواتش . بعد عدة أيام من المعاناة والعذاب ماتت .

حضر جنازة الفتاة التي لم تتجاوز العشرين من عمرها عدد قليل . أحاط الجيش بالقرية وسد مداخل الطرق إليها ومنع أي أحد من الدخول أو الخروج كتب د. كابليوك : لم يجري تحقيق ولم يطلب أحد في المحكمة رغم وجود شهود عيان للجريمة . ويضيف :

نحن نشك أن القضية مثل العديد من غيرها من القضايا في الأرض المحتلة سوف يتم حفظها .. ومجرد يصبح لها رقم .. ثم يطويها النسيان في إسرائيل .. ولكن بالنسبة للعرب لا .. فمنذ وقت غير بعيد نشرنا في هذه الصحيفة عن الحصار وفرض حظر التجوال على مدينة الخليل في شهر مايو .. وقد ذكرنا ما فعله الجنود الذين قاموا بضرب العمال العرب الذين كانوا عائدين من أعمالهم . ذكرنا المكان الذي حدثت فيه الواقعة وأسماء بعض العمال والساعة التي حدثت فيها . وبعد أقل

من أسبوع أعلن متحدث باسم الجيش الإسرائيلي في الإذاعة أن أحد الجنود وقعت عليه عقوبة . وعلى حد قول بروفسور شاحاك : اكتفوا بتوجيه اللوم ...

يضيف د. كابلوك :

هذه المرة لا يوجد حاجة إلى صحفي كي يتدخل . الحقائق واضحة ومعروفة . لماذا ينتظرون؟ إذا لم يعاقب الرجل الذي أطلق النار عليها سيصبح مفهومًا لدى السكان في الضفة وفي الأرض المحتلة – سوف يصبح مفهومًا لدى الجميع أن الدم العربي رخيص .. وبلا مقابل .

ويضيف د. كابلوك :

إن تحقيقًا آخر يجري بشأن المحاولة الإجرامية لاغتيال رئيس بلدية نابلس ورام الله – بالضفة الغربية – بدأ يثير الكثير من الشكوك .

قال كابلوك :لقد مر شهر منذ أن تم بتر ساقي الشكعة وخلف . لكن المتحدث الرسمي أوضح أنه لم يتم التعرف على شخصيات مرتكبي الحادث .

أكثر من ذلك – كما يقول كابلوك – البعض يروج لشائعات خبيثة وشريرة تقول أن الجريمة ارتكبها بعض العرب .

جريدة معاريف هي الأكثر نشاطًا في هذا الصدد . ربما لتغطي الانطباع بأنها أكثر وطنية .

ثم مضى يوضح : ليست هناك رغبة لكشف المجرمين . وليست هناك رغبة في محاكمتهم .

الحقيقة أن الإيمان بفلسفة الهجوم ليست شيئًا بعيدًا عن عقلية رئيس وزرائنا . لم نسمع أنه تم القبض على أحد أو حتى البحث عنه .

عندما يقوم طفل بإلقاء حجر في أي مكان بالضفة يفرض فورًا نظام العقاب الجماعي وتصبح القرية بأكملها تحت الحصار وحظر التجوال وتواجه شتى أنواع الإهانة والتعذيب .

وعن قذف الحجارة الذي يتم توصيفه لدى الصحافة الغربية وكذا لدى اليهود بأنه ينجم عنه ردود الفعل الآثمة لدى الإسرائيليين يعلن البروفيسور شاهاك : على عكس كل الاعتقادات السائدة سواء لدى الصحافة الغربية أو اليهود فإن هؤلاء الذين يقذفون الحجارة يمثلون نوعًا من الهجوم الشجاع على مركبة عسكرية بواسطة أطفال صغار غير مسلحين .

في مقال بجريدة دافار ٤ مارس ١٩٨٠ كتبت شولاميت أكوفي عضو الكنيست مقالاً بعنوان : التحقيق . التحقيق .. قالت فيه : أن قوات الأمن والبوليس والجيش سببت للمواطنين الإسرائيليين الكثير من الارتباك والمشاعر القاسية (في يهوذا والسامرا) – (تعني الضفة الغربية – المترجم) .

الأحداث التي جرت ذكرت الناس بالوقائع التي حدثت في أوربا الفاشية وخلال الحرب العالمية الثانية – عندما يقتل يهودي في الضفة الغربية – هكذا كتبت شولاميت أكوفي بوضع المدينة بأكملها تحت الحصار وحظر التجوال الذي لا يفرض على جميع المواطنين ولكن على العرب فقط وتظل الاستجوابات والتحريات قائمة . لكن عندما يهاجم اليهود أحد العرب من أبناء الضفة لا استجوابات ولا تحقيقات وحتى لو أجريت فإنها تغلق وتطوى صفحاتها بسرعة بحيث لا يتم العثور على الجاني أبدًا .

القتلة في جريمة حلحول لن يقدموا للعدالة أبدًا . (هكذا توقعت وثبت صحة توقعاتها فيما بعد) . وهؤلاء الذين أساؤوا معاملة الشباب الصغار السن في الخليل

قبل عامين وقاموا بتعرية أجسادهم للكلاب المتوحشة تفترسهم حتى أن أحد هؤلاء الأولاد مات من شدة التعذيب – هؤلاء المشار إليهم – لن يقدموا للمحاكمة .

في ٢ فبراير ١٩٨٠ تعرض جلال جابري وهو مواطن عربي في السبعين من عمره للهجوم الذي قام به ثلاثة من المستوطنين من مستوطنة كريات عربة . ونتيجة لذلك حمل إلى المستشفى بالخليل وهو يعاني من مرض شديد وفي حالة خطرة هددته بفقد البصر . يقع بيته بالقرب من مستوطنة كريات عربة .

وقد تعرض لعدة مضايقات وهجمات في الماضي قام بها المستوطنون لإرغامه على إخلاء وترك منزله حتى يتسنى لهم الاستيلاء عليه ونزع ملكيته .

في نفس اليوم الذي جرى فيه الهجوم على جلال جابري قام المستوطنون أيضًا بالهجوم على عائلة أدريم التي تعيش في هذا البيت القرية من المستوطنة . حطموا النوافذ بالمنزل . لم يتخذ البوليس أي إجراء تجاه أي من الواقعتين .

كتبت أكوفي : لم تبدى السلطات أي تعليق ولم يبذل أي جهد للكشف عن مرتكبي الحادثين .

مسئول بالشرطة قال أنه لم يتخذ إجراء لأن الرجل العجوز (الذي كان يرقد فاقد الوعي بالمستشفى لم يتقدم ببلاغ رسمي) طبقًا للقانون كان ينبغي إجراء تحقيق سواء تم التقدم ببلاغ أم لا .

أضافت مسز أكوفي :

الكل يعلم لو أن جريمة مماثلة وقعت هل ستقف السلطات مثل هذا الموقف لو أن اليهود هم من تعرض للهجوم ؟! وكتبت أيضًا : أنه في يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٧٩ اقتحمت الشرطة جامعة بيرزيت وأساءت معاملة الطلاب الذين تقدموا بشكوى رسمية حول واقعة تعرضهم للضرب وتحطيم ساعاتهم وامتهان كرامتهم .

رئيس الجامعة تقدم بشكوى أيضًا حول تعرضه للضرب على وجهه أمام المدرسين والطلاب .

في يوم ١٣ فبراير ، تقريبًا بعد شهرين من وقوع هذا الحادث جرى استجواب في الكنيست حول هذه الواقعة . وقدم نائب وزير الدفاع إجابة تدعو للدهشة : «موضوع الاستجواب ما يزال أمام الشرطة العسكرية وحيث أن التحقيق لم يكتمل بعد لا أستطيع الإجابة على أسئلتكم أو شرح ظروف الحادث » .

أضافت مسز أكوفي : « أنها متأكدة تمامًا أنه لم يحدث شيء حول هذا الموضوع حينذاك .. ولا في المستقبل » .

في مقال لها نشر قبل ثلاثة شهور من وقوع الاعتداءات على رؤساء بلدية الضفة كتبت مسز أكوفي :

الحقيقة المفزعة أنه في هذه الحالات من التعذيب البدني والمعاملة السيئة التي لا تستطيع السلطات العسكرية إنكارها لأن هناك شهودًا وأدلة عليها فإن التحقيق والمحاكمة – كلاهما يتم في سرية وتحت هيمنة الرقابة العسكرية ما هي قيمة التحقيق والمحاكمة – كلاهما يتم في سرية – إذا لم ينشر عنها شيء؟!!

هكذا تسأل – في أغلب الحالات لا ينشر شيء حتى لا يدرك العالم أن جرائم اليهود ضد العرب تمضي بلا عقاب .

تضيف : ليس هناك عامل مانع أو عائق في المحاكمات المغلقة التي يحرص عقدها والتي تخضع لشروط الرقابة على النشر – ليس هناك ما يمنع أن يقوم رجال الشرطة وجنود الجيش الذين يتم إرسالهم إلى الضفة – من أن يقوموا بإستصدار أوامر بحظر التجوال وأن يقوموا بحراسة أعضاء جماعات جوش أمونيم .. فكيف إذن في ظل هذا التعتيم والحصار أن يعرف أن قد وقع سوء معاملة للعرب أو تعذيب أو

ضرب أو تحطيم نوافذ أو سرقة قطعان ماشية أو إهانة أو تحقير لهم ؟!!

تقول آموني : القضية الوحيدة التي سمح بالنشر حولها هي حين أمر الحاكم العسكري الجنود بإلقاء قنابل الغاز المسيل للدموع على التلاميذ في فصول الدراسة وفي نفس الوقت صدر بيان من أحد الحامات – وهو عضو بالكنيسة – الحاخام دروخمان – تم نشره قال فيه :

قنابل الغاز لا تسبب ضررًا للأطفال العرب . وعندما تم بتر سيقان عمد الضفة بعد حادث التفجيرات قال دروخمان : هكذا سوف نهلك أعداء الرب .

كتب داني روبنشتاين في صحيفة دافار الإسرائيلية ٦ يونيو ١٩٨٠ :

عندما يتم اكتشاف محاولة إسرائيلية لبث الرعب بإلقاء متفجرات أو وضع قنابل يحدث نوع من التكتم والتعتيم الإعلامي .

قبل شهر مضى قبض على أربعة مستوطنين من بيت الـ Beth EL يحطمون السيارات والنوافذ والمنازل في مناطق البيرة ورام الله إحياء لذكرى ليلة الكريستال النازية [(١)].

سألت رجال الشرطة عما إذا كان المستوطنون قد تم التحقيق معهم أو وجهت إليهم اتهامات وكيف يجري التحقيق وأين كانوا . قال المتحدث الرسمي باسم

(١) جرت هذه الواقعة (واقعة ليلة الكريستال) في ٩ نوفمبر ١٩٣٨ كرد فعل انتقامي لقتل دبلوماسي ألماني في باريس – قام بقتله هرشل جزمز بان وهو شاب يهودي بولندي – كرد فعل لهذا الحادث – قام النازيون بشن هجوم كبير على اليهود في ألمانيا – وفي تلك الليلة التي سميت ليلة الكريستال تم إحراق جماعات من اليهود وحطمت محلاتهم التجارية وضرب البعض وعذبوا . وقتل آخرون ولأن الشوارع الألمانية حيث جرت هذه الواقعة تم إغلاقها بألواح من الزجاج في الصباح التالي فقد سميت ليلة الكريستال .

الشرطة أنه ليس من واجبهم الإدلاء بمعلومات عن الأرض المحتلة .

عندئذ اقترب داني روبنشتاين من السلطات العسكرية التي ظلت ترسله من واحد إلى آخر دون أن يظفر بأي جواب .

....

....

الواقعة التي سنذكرها صحيحة . إذ تم اكتشاف متفجرات في أعلى سقف إحدى الكليات الدينية بالقدس .

من الذي قبض عليه ؟

من الذي وجه إليه الاتهام ؟

لا توجد إجابة واضحة . فقد صار اتهام خفي وغامض ضد رابي كاهانا .

إذن من الذي تم اعتقاله إداريًا ؟

رسميًا يعلنون أ، رابي كاهانا لا علاقة له بحادث المتفجرات . إذن هو على علاقة بماذا ؟

يضيف : لا أحد في إسرائيل يشعر بالارتياح إذا وجهت تهمة إلى أحد اليهود من تلك التهم التي تتسم بالقتل إذ يفيدون أن مثل هذه الأعمال أعمال وطنية البعض يعتقد أن كشف من قاموا بهذه الأعمال قد يضع إسرائيل على حافة حرب أهلية .

وحتى يجعل اليهود – يبدوا كأنهم غير مسئولين عن حوادث التفجيرات التي أدت إلى بتر ساقي العمد مضى قائلاً : أن رؤساء البلدية قد قاموا بوضع سياراتهم بعيدًا عن منازلهم لأنهم تلقوا تحذيرات ما قبل وقوع التفجير ولهذانحن نتعامل مع صراع داخلي – داخل منظمة التحرير الفلسطينية P.L.O.

إن القيام بارتكاب جريمة آثمة وشريرة شيء سيء جدًا وأن تقوم بحماية مرتكبي الجريمة وترفض تقديمهم للعدالة فهذا أيضًا شيء سيء بالمثل .. لكن أن تحاول إلصاق التهمة بالفلسطينيين فهذا ربما كان مؤشرًا دالاً على طبيعة الصهيونية .

على أية حال . لقد رفض داني روبنشتاين بحزم هذه الأكذوبة الخبيثة التي تقول : أن سيارة بسام الشكعة تم وضعها بحديقة منزله وليس بعيدًا عن بيته .

سأل روبنشتاين رئيس بلدية البيرة : لماذا وضع سيارته بالقرب من الجاراج وأجاب الرجل ببساطة تامة أنه بعد قيام مستوطنين بتحطيم زجاج السيارات في المدينة فقد أخفى سيارته بالليل .

مضى داني وربنشتاين قائلاً :

هكذا يفعل أي شخص آخر في رام الله أو البيرة بعد تحطيم ١٢ سيارة قبل شهر وبالنسبة لرئيس البلدية . لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تتعرض فيها سيارته للتحطيم ولكن حدث ذلك مرات عدة من قبل .

لسوء الحظ فقد قام المراسلون الصحفيون الإسرائيليون بنشر هذه الأكاذيب دون أن يسألوا أحدًا من سلطة الاحتلال ودون أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث عن إجابة للسؤال : لماذا أخفيت السيارات هكذا بعيدًا عن الأنظار ؟

على أية حال لو أنه كان هناك تحذير لرؤساء البلدية بتوقع تفجير سياراتهم لكان من المحتم ألا يحاولوا تشغيل هذه السيارات وركوبها مثلما حدث بالفعل .

يضيف داني روبنشتاين : المرحلة التالية سوف تكون عنف اليهود ضد اليهود .

الإخفاء المتعمد للحقائق حول بدايات الرعب في الضفة الغربية والإعلان الصريح عن سعادته بما جرى التي أعلنها رابي دروكمان – تكشف الفجوة السياسية داخل إسرائيل . يقول : ربما سنكتشف سريعًا أن الصراع العربي – اليهودي القائم

ليس أكثر أهمية وأن الحروب المقبلة لليهود هي الأكثر أهمية .

لم يكن رابي دروكمان الوحيد في التعبير عن سعادته لبتر ساقي ،مدة الضفة فقد عبر يوسي دايان زعيم حزب كاخ وهو التنظيم المتطرف لمائير كاهانا . عبر صراحة عن سعادته بحادث التفجيرات .

في تقرير للجارديان ٩ يونيو ١٩٨٠ :

دايان الذي هو أحد زعماء «منظمة الدفاع عن اليهود» – وهي منظمة عنصرية تتسم بالعنف – شكلت ما يسمى المتحف المحتمل للهولوكست – أعلن دايان . هذه هي البداية فقط .

وعندما قيل أن هذا نوع من التحريض (جريمة اتهم بها عديد من الفلسطينيين وتم عقابهم بفظاعه) . قال : أنه يتلقى الأمر من التوراة . ثم أضاف : بمجرد أن يرحل العرب عن هذه الأرض سوف تكون متاعبهم أقل .

الياش (إسرائيلنا) وهي حركة يمينية متطرفة أيضًا تصف نفسها بأنها قلب الصهيونية داخل الجامعات الإسرائيلية تشارك يوسي دايان نفس وجهة النظر هذا التنظيم اليميني المتطرف طالب بالسماح لجميع الطلاب بحمل السلاح في جامعة حيفا وأن يتم طرد جميع المؤيدين لمنظمة التحرير الفلسطينية P.L.O.

في ١١ مايو ١٩٨٠ قام قادة تنظيم ياش بتوزيع منشورات وقع عليها بما تسمى : التنظيم الذي يحرر أرض إسرائيل . وفي هذه المنشورات يقررون أن العرب لا يمكن لهم العيش في مجتمع ديمقراطي وأن هناك ضرورة لتطبيق القانون العسكري على العرب الذين يعيشون في إسرائيل مثلما يطبق على الذين يعيشون في الأرض المحتلة .

في اليوم التالي أعلنت حركة ياش أنه إذا لم تقم الجامعة بطرد أنصار منظمة الحرير

الفلسطينية – فإنهم سيفعلون ذلك بأنفسهم . وقاموا بإغلاق مداخل المباني الرئيسية للجامعة لمنع الطلاب العرب من الدخول . ثم شنوا هجومًا على الطلاب العرب داخل المبنى وحاولوا إجبارهم على الخروج من الجامعة .

ضابط الأمن هدد باعتقال الفلسطينيين الذين هوجموا – وليس أعضاء حركة ياش .

قام وفد يمثل الحركة الديمقراطية للطلاب العرب واليهود بلقاء العميد وحذروا السلطات من أن هناك ثمة تطورات فاشية خطيرة يتبناها ويشجعها رئيس الجامعة ثم قدموا شكوى رسمية ضد بعض أعضاء حركة ياش الذين مارسوا أعمال العنف ضد الطلاب لكن الشكوى تم تجاهلها ولم يتخذ أي إجراء ضد أعضاء حركة ياش .

يوم ٢٧ مايو أقامت الحركة مظاهرة (هذه المظاهرات تعقد بشكل منتظم في الجامعات ويطالبون فيها بطرد الطلاب الفلسطينيين) هذه المرة تلقوا مساندة من طلاب جامعات أخرى . وكانوا مسلحين بسكاكين والسلاسل والهراوات .

هوجم الطلاب العرب بالهراوات . لكن سلطات الجامعة لم تتخذ أي إجراء . بعد يومين قام الطلاب العرب بعقد اجتماع للاحتجاج ضد العنف الإجرامي الذي تمارسه جماعة ياش وكذا ضد الموقف السلبي لسلطات الجامعة . كما احتجوا على طرد اثنين من الطلاب من جامعة بير سبع .

خلال الاجتماع المنعقد للطلاب العرب ظل أعضاء جماعة ياش يتصرفون إزاءهم بشكل عدائي ويصيحون : العرب يرحلون . عودوا إلى دياركم .

في ٣ يونيو قام الطلاب العرب بتنظيم اجتماع للاحتجاج ضد محاولات الاغتيال التي جرت ضد رؤساء بلدية رام الله والبيرة والخليل . جاء أعضاء حركة ياش وأخذوا

يرفضون «الحرة» في مواجهة الطلاب الفلسطينيين وهم يصرخون : سوف ينتهي بكم الحال إلى نفس ما جرى لرؤساء البلدية .

قررت لجنة الطلاب العرب عقد اجتماع في يوم ٥ يونيو ذكرى بدية الاحتلال . وطلب عميد الكلية منهم عقد معرض للرسم والفنون «سمبوزيوم» بدلاً من المظاهرة . واقترح أن تتم بإشراف الجامعة .

في اليوم التالي ألغي مدير الجامعة تصريحًا بتخصيص إحدى القاعات للمعرض . دعت اللجنة إلى إضراب احتجاجي . وقام رئيس الجامعة بإلغاء القرار .

في نفس هذا اليوم قامت حركة ياش بإحضار مائتي طالب من المجرمين من خارج الجامعة مسلحين بالسكاكين والسلاسل . دخلوا الجامعة قبل بداية الاجتماع ثم أخذوا يصرخون :

عودوا إلى بلادكم أيها العرب . ثم أخذوا يرقصون وهم يلوحون بأعلام إسرائيل . ومنعوا المعرض من أن يقام وحين بدأ المشاركون في المعرض يغادرون المكان تعرضوا للاعتداء البدني من حركة ياش الذين تجمعوا في الخارج . أشعلوا النيران وأخذوا يصرخون في الطلاب العرب : تعالوا لتأكلوا الكباب المصنوع من ساقي الشكعة .

في جامعة تل أبيب هناك أعضاء نشطون بتنظيم كاهانا المتطرف وهم من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . حضروا ومعهم بعض القطط الميتة . وضعوا لحمها على النار بأحد المعسكرات وأخذوا ينادون على المارة : تعالوا لتتناولوا الكباب المصنوع من ساقي الشكعة .

ولما تقدم الطلاب العرب بشكاوى إلى رئاسة الجامعة والشرطة كان الرد بأن للطلاب الحق في التظاهر السلمي وحرية الكلام .

(التعليق على هذه الأفعال يعد أمرًا غير ضروري) ولكن حقيقة أن مرتكبي الجرائم ومن خططوا لها يجري حمايتهم من قبل السلطات الإسرائيلية ومن قبل التظاهرات التي يجري تنظيمها بحماية هذه السلطات يعطي الإحساس بأن الفلسطينيين يحكمهم نظام الرعب والشر .

تعد حالة بسام الشكعة واحدة من قائمة طويلة للزعامات الفلسطينية التي تتسم بروح البطولة والعزم والتصميم على تأكيد حق الشعوب في العيش بسلام وأمن ويعد محمود الهمشري مندوب منظمة التحرير الفلسطينية P.L.O. في باريس واحدًا أيضًا من الشهداء الفلسطينيين فقد قتل بتفجير قنبلة إسرائيلية عام ١٩٧٣ . وكنتيجة للحادث تم بتر ساقيه .

وبعد نحو شهر ظل خلاله متمسكًا بالأمل في الحياة بشكل شجاع رغم معاناته من شتى الآلام أسلم الروح . ومات متأثرًا بجراحه . لكن بسام الشكعة كان أكثر حظًا . يقول : لقد منحني الله الفرصة كي أعيش . أو لعله لم يكن مقصودًا موتي بعد .

بعد فترة علاج في عمان عاد إلى نابلس ليستمر في عمله كعمدة .

بعد شهر غادر نابلس إلى بريطانيا لمواصلة العلاج . وشعر الأطباء بالسعادة الكاملة للتقدم الصحي الذي حدث له .

في البداية تم الاستعانة بأطراف صناعية واستطاع السير بدون مساعدة مما يعد أمرًا نادرًا .

لقد ظهر على شاشة التليفزيون البريطاني أدلى بعديد من الأحاديث للصحافة والإعلام . كما تحدث إلى أعضاء بحزب المحافظين والعمال والحزب الليبرالي في مؤتمر بمقر معهد الكومونولث بلندن . تحدث عن وطنه وشعبه وآمالهم وأحلامهم ومعاناتهم الفظيعة .

أكثر من هذا تحدث عن الحب والأخوة بين البشر والتسامح والسلام . ورغم كل هذه المعاناة والحزن والقسوة والوحشية التي يعاني منها شعبه إلا أنه يتطلع إلى الأمام . ينتظر يومًا يسود فيه التسامح والإخاء والعدل وتنتهي معاناة شعبه الفلسطيني .

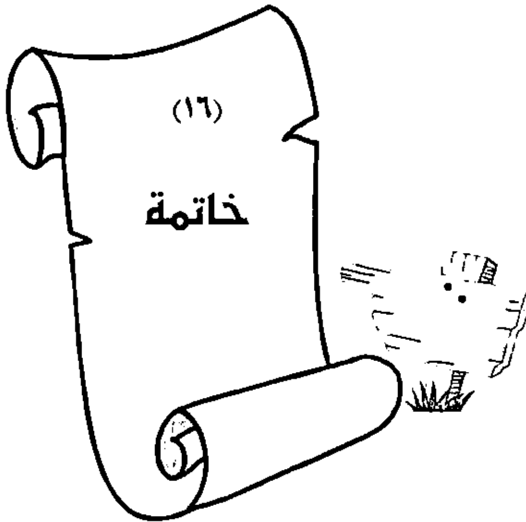
يقول بسام الشكعة : سوف أعود إلى نابلس وسوف أستمر في عملي كرئيس للبلدية وكمواطن بيْن شعبي . لست خائفًا مما يحمله المستقبل لأنني على الحق والطريق الصواب . والذين فعلوا هذا لي ولشعبي على الطريق الخطأ . لست خائفًا من السجون أو التفجيرات أو الانتهاكات التي ترتكب ضد حقوق الإنسان . كل ما أخشاه هو شيء واحد أن أخذل شعبي .

أي إنسان يعرف السجايا والصفات التي يتمتع بها بسام الشكعة سوف يدرك أن هذا الهاجس ليس له أساس . لكن الحقيقة الوحيدة المؤكدة هي أننا حين نتحدث عن رئيس بلدية نابلس إنما نرى رجلاً يعبر عن القيم والمبادئ والتواضع الإنساني والشرف مما يجعل الشكعة – إن شاء الله – يتبوأ مكانًا عاليًا مرموقًا بين زعماء فلسطين الحرة التي يتطلع إليها كل شرفاء العالم .



بسام الشكعة
رجـــــــل
وشــــعب
في مواجهـــة
الاحــــتلال







عندما أرسل هذا الكتاب إلى المطبعة كان بسام الشكعة على وشك العودة إلى وطنه . وكان لديه أصدقاء كثيرون في العالم يتمنون له أن يمارس عمله في سلام كرئيس منتخب للشعب الفلسطيني في نابلس . من الضروري أن نذكر بكل أسى أنه لم يترك الحال سبيله بحيث يقوم بواجبه .

في مقال بجريدة ها آرتس : كتبتها يهودا ليتاني في ٢٣ مارس ١٩٨١ أوضحت ما يلي : الحكومة العسكرية في نابلس تقوم بالاضطهاد والتهديد لأي شخص يقدم المساعدة لبسام الشكعة . كما تمارس ضغوطًا متنوعة ضد أي شخص يقابله .

يضيف مستشار نابلس خلدون عبد الحق كيف أن الشكعة قام بواجب العزاء في وفاة أحد أعضاء الكنيست وعند عودته إلى نابلس تم استدعاء الرجل الذي قاد السيارة . وهو د. تحسين شاكشير إلى مركز الشرطة لسؤاله لماذا قاد سيارة الشكعة فأجاب أنه فعل ذلك لأنه تم القبض على سائقه الأسبوع الماضي .

كذا تم استجواب عضو المجلس البلدي خليل الطاهر الذي كان في السيارة أيضًا . طبقًا لما قاله عضو المجلس : عبد الحق في مؤتمر صحفي بالقدس أن من يقومون بقيادة سيارة الشكعة يتم استجوابهم ومعاملتهم بشكل سيء .

كان بسام الشكعة في طريقه إلى مؤتمر صحفي بالمثل لكنه قرر العودة حين لاحظ وجود سيارتين عسكريتين تلاحقانه من بيته إلى قاعة المجلس البلدي .

في الخامسة من صباح يوم ٢٢ مارس سمعت عائلة الشكعة صوت أحد الأشخاص يقوم بالحفر في الأرض المجاورة لسيارته المحترقة فيما بعد قام عمال من بلدية نابلس بالحفر في نفس المكان فوجدوا ربطات من السلك التي وضعت في المكان .

في اليوم السابق كانت هناك سيارة عسكرية واقفة بجوار منزل عائلة الشكعة

طوال الليل . الجنود الذين بداخلها كانوا يطلبون بطاقات الهوية لكل شخص يقوم بزيارة الشكعة . وأخذوا بعضها .

باختصار..

قبل ذلك سافر الشكعة إلى النبطة مع عدد من زعماء وقادة الاتحادات التجارية إلى النبطة ليبدو تضامنهم مع عدد من أبناء القرية الذين سلبت منهم أرضهم وضمت إلى مستوطنة شافيع شومرون .

أوقفت السيارة عند نقطة تفتيش عسكرية على الطريق وهدد أحد الجنود بتحطيم السيارة . وبعد ساعات قليلة تم القبض على السائق واستدعى الآخرون إلى مراكز للحكومة العسكرية في نابلس وتعرض أعضاء وقادة الاتحادات التجارية للضرب والتعذيب بينما اعتقل عضو المجلس البلدي عبد الحق من الصباح الباكر حتى الليلة التالية .

قال له الضباط الإسرائيليون : نحن نقوم بحكمكم لمدة ثلاثة عشر سنة وسنستمر ندوسكم بأقدامنا . سنأخذ أرضكم وسنعمل كل ما نريد بأي منكم .

أثناء مرور الشكعة على الطريق عرج بسيارته للمرور بالقطاع السامري بجبل نابلس ليقدم التهاني بالعيد لعدد من سكان الجبل .

وضع الإسرائيليون حجرًا على الطريق وقالوا : السيارة لن تستطيع المرور أكثر من هذا وإذا أراد الشكعة الوصول إلى الجبل عليه السير على قدميه .

هذه القسوة وحب الانتقام لم يجعلا بسام الشكعة يغير رأيه رغم أن ساقيه أحس فيهما بألم شديد فوق الركبة . بحيث صار تسلق الجبل شيئًا غاية في الصعوبة .

ورغم أن بعض سكان الجبل من السامريين جاءوا لتحيته فقد أصر على الخروج من السيارة وتكملة الرحلة والصعود إليهم ماشيًا . الواضح أنه لا يوجد نهاية لحق

الصهاينة على بسام الشكعة .

حين كان في بريطانيا قام بزيارة مدينة اسكتلندية وهي مدينة دوندي ورحبت به سلطات البلدية التي قررت أن تقيم علاقة تومة بين مدينتي دوندي ونابلس .

ومنذ ذلك الحين أقام الصهاينة نوعًا من الصخب والاحتجاج رغم أن دوندي بها ١٥٠ يهوديًا فقط إلا أنه تجمع ٤٠٠ صهيوني بالمدينة للقيام بتجمع احتجاجي ومظاهرة على أطراف المدينة .

قال المستر جريفل جامز وهو زعيم صهيوني يهودي عضو بالبرلمان أشار إلى ما جرى في دوندي أنه عمل ضد السامية .

طبقًا لتقرير نشرته جريدة التايمز البريطانية : في ٤ يونيو ١٩٨١ تقدم عدد من أعضاء البرلمان بالتماس ويساندهم في ذلك عدد من النواب اليهود البريطانيين يحتجون فيه على التوأمة بين دوندي ونابلس وكذا ضد قرار رفع علم منظمة التحرير الفلسطينية P.L.O.

وهم باستمرار يشيرون إلى ألوان هذا العلم : الأخضر – لأحمر – الأسود . رغم أنهم يعلمون أنه علم فلسطين منذ عام ١٩٢٠ . في أعقاب قرار التوأمة بين المدينتين وكما ذكرت التايمز وقعت حوادث وانتهاكات ضد السامية لأول مرة في تاريخ المدينة وكذا حوادث بين جماعات كلية متطرفة من اليهود مع جماعات نازية وأعضاء ورموز من الجبهة القومية .

ما لم تذكره التايمز أنه في دوندي كما في مدن بريطانية أخرى ترتفع فيها نسبة البطالة والحرمان والعنصرية كما توجد بها جماعات فاشية مثل الجبهة القومية . كما تضم عناصر أقلية من شباب غير منتظم صغير السن وكذا كثير من الأماكن في دوندي سيطرت عليها جماعات الصليب المعقوف قبل قرار التوأمة بزمن طويل .

يقول اللورد بروفست عمدة دوندي وكذا عضو البرلمان عن حزب العمل بها المستر أرني روس . يقولان أن جماعات الصليب المعقوف قد تغلغل بها جماعات من المراهقين الذين لا دراية لهم بالسياسة . والذين قاموا بتغطية الكنائس والمباني العامة بهذه الشعارات .

يقول أعضاء المجالس البلدية بمدينة دوندي أنهم يهدفون إلى أن يقفوا بصلابة ويساندون بسام الشكعة وكذا مدينة نابلس . لكن كان هناك أخطاء ناتجة عن الإعلام المضلل والمعلومات الخاطئة والمفبركة من الجماعات الصهيونية .

على سبيل المثال يقول المستر ميشيل انكرام عضو البرلمان بجنوب أدنبره أن أعضاء بلدية دوندي يدعون إلى الخجل بهذيانهم المعادي للسامية مما يثير الرثاء والشفقة أن هؤلاء الذين يتحدثون بهذه الطريقة في بريطانيا لا يتوقفون ليسألوا أنفسهم : ما هي معاداة السامية في تأييد ومساندة شعب ومدينة نابلس وعمدتها الرجل الشجاع بسام الشكعة ؟؟

ماريون ولفسون

المؤلفة

ماريون ولفسون : ولدت وتعلمت في أدنبرة حيث درست الصحافة وهي من أسرة يهودية اسكتلندية . مارست الكتابة في الصنداي تايمز . والصنداي ميرور وهي مؤلفة كتاب أنبياء بابليون واليهود في العالم العربي . طبع في لندن ١٩٨٠.

المترجم

محمد الكاشف : صحفي وقاص . درس الصحافة بجامعة القاهرة . حصل على دبلوم عالي من برلين سنة ١٩٧٦ ودبلوم عالي من كلية الإعلام بالقاهرة سنة ١٩٨٥ . صدرت له مجموعة قصصية سنة ٢٠٠٩ ، وله عدة أعمال تحت الطبع .

عضو بنقابة الصحفيين المصريين واتحاد الصحفيين العرب ونادي القصة . ونشرت كتاباته بصحف عربية وأجنبية .

* صدرت الطبعة الأولى باللغة الإنجليزية لهذا الكتاب باسم : «بسام الشكعة بورتريه للفلسطيني ١٩٨١» عن مركز دراسات العالم الثالث – للأبحاث والنشر – لندن – وطبع في بيروت – لبنان في :

MODERN PRINING CHNTER.



بسام الشكعة
رجـــــل
وشـــعب
في مواجهـــة
الاحـــتلال







الفهرس

